القول المفيد
على
كتاب التوحيد

الجزء الثاني

لفضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين

دار الثريا للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

الاستقصاء : طلب السقيا ، كالاستغفار : طلب المغفرة والاستعانة : طلب المعونة ، والاستعاذة : طلب العوذ ، والاستهداء : طلب الهدايا ، لأن مادة استفعل في الغالب تدل على الطلب ، وقد لا تدل على الطلب ، بل تدل على المبالغة في الفعل ، مثل : استكبر ، أي : بلغ في الكبر غايته ، وليس المعنى طلب الكبر ، والاستسقاء بالأنواء ، أي : أن تطلب منها أن تسقيك .

والاستسقاء بالأنوار ، أي : أن تطلب منها أن تسقيك .

والاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين :

<u>القسم الأول : شرك أكبر ، وله صورتان :</u>

الأولى : أن يدعو الأنوار بالسقيا ، كأن يقول : يا نوء كذا ! اسقنا أو أغثنا ، وما أشبه ذلك ، فهذا شرك أكبر ، لأنه دعا غير الله ، ودعاء غير الله من الشرك الأكبر ، قال تعالى : ومن يدع مع الله إلها أخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون [المؤمنون : 17] ، وقال تعالى : وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً [الجن : 18] ، وقال تعالى : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين [يونس : 106].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على النهي عن دعاء غير الله ، وأنه من الشرك الأكبر.

الثانية : أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنوار على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ولو لم يدعها ، فهذا شرك أكبر في الربوبية ، والأول في العبادة ، لأن الدعاء من العبادة ، وهو متضمن للشرك في الربوبية ، لأنه لم يدعها إلا وهو يعتقد أنها تفعل وتقضي الحاجة .

<u>القسم الثاني</u>

شرك أصغر ، وهو أن يجعل هذه الأنواء سسبباً مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل ، لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوجيه ولا بقدرة ، فهو مشرك شركاً أصغر .

وقال الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون [الواقعة : 82].

قوله تعالى : وتجعلون . أي : تصيرون ، وهى تنصب مفعولين : الأول : **رزق** ، والثاني **أن** ، وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان ، **والتقدير :** وتجعلون رزقكم كونكم تكذبون أو تكذيبكم .

والمعني : تكذبون أنه من عند الله ، حيث تضيفون حصوله إلى غيره .

قوله : رزقكم . الرزق هو العطاء ، والمــراد به هنا : ما هو أعم من المطر ، **فيشمل معنيين :**

الأول : أن المراد به رزق العلم ، لأن الله قال : فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين

* أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون
[الواقعة : 75-83] ، أي : تخافونهم فتداهنونهم ، وتجعلون شكر ما رزقكم الله به من العلم والوحي أنكم تكذبون به ، وهذا هو ظاهر سياق الآية .

الثاني : أن المراد بالرزق المطر ، وقد روي في ذلك حديث عن النبي لكنه ضعيف [1]، إلا أنه صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية : أن المراد بالرزق المطر ، وأن التكذيب به نسبته إلى الأنواء[2] ، وعليه يكون ما ساق المؤلف الآية من أجله مناسباً للباب تماماً .

والقاعدة في التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل المعنيين جميعاً بدون منافاة تحمل عليهما جميعاً ، وإن حصل بينهما منافاة طلب المرجح .

ومعنى الآية : أن الله يوبخ هؤلاء الذين يجعلون شكر الرزق التكذيب والاستكبار والبعد ، لأن شكر الرزق يكون بالتصديق والقبول والعمل بطاعة المنعم ، والفطرة كذلك لا تقبل أن تكفر بمن ينعم عليها ، فالفطرة والعقل والشرع كل منها يوجب أن تشكر من ينعم عليك ، سواء قلنا : المراد بالرزق المطر الذي به حياة الأرض ، أو قلنا : إن به القرآن الذي به حياة القلوب ، فإن هذا من أعظم الرزق ، فكيف يليق بالإنسان أن يقابل هذه النعمة بالتكذيب ؟!

واعلم أن التكذيب نوعان :

أحدهما : التكذيب بلسان المقال ، بأن يقول هذا كذب ، أو المطر من النوء ونحو ذلك .

والثاني : التكذيب بلسان الحال ، بأن يعظم الأنواء والنجوم معتقداً أنها السبب ، ولهذا وعظ عمر بن عبد العزيز الناس يوماً ، فقال : " أيها الناس ! إن كنتم مصدقين ، فأنتم حمقى ، وإن كنتم مكذبين ، فأنتم هلكى " . وهذا صحيح ، فالذي يصدق ولا يعمل أحمق ، والمكذب هالك ، فكل إنسان عاص نقول له الآن : أنت بين أمرين : إما أنك مصدق بما رتب على هذه المعصية ، أو مكذب ، فإن كنت مصدقاً ، فأنت أحمق ، كيف لا تخاف فتستقيم ؟! وإن كنت غير مصدق ، فالبلاء أكبر ، فأنت هالك كافر .

***

وعن أبى مالك الشعري رضي الله عنه ، أن رسول الله قال : " أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالإكساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة " .

قوله في حديث أبى مالك : **" أربع في أمتي "** . الفائدة من قوله : **" أربع "** ليس الحصر ، لأن هناك أشياس تشاركها في المعنى ، وإنما يقول النبي ذلك باب حصر العلوم وجمعها بالتقسيم والعدد ، لأنه يقرب الفهم ، ويثبت الحفظ .

قوله : **"من أمر الجاهلية "** . أمر هنا بعنى شأن ، إي : من شأن الجاهلية وهو واحد الأمور ، وليس واحد الأوامر ، وليس الأوامر ، لأن واحد الأوامر طلب الفعل على وجه الاستعلاء .

وقوله : **" من أمر الجاهلية "** . إضافتها إلى الجاهلية الغرض منها التقبيح والتنفير ، لأن كل إنسان يقال : فعلك فعل الجاهلية لا شك أنه يغضب ، إذ إنه لا أحد يرضى أن يوصف بالجهل ، ولا بأن فعله من أفعال الجاهلية ، **فالغرض من الإضافة هنا أمران :**

1- التنفير .

2- بيان أن هذه الأمور كلها جهل وحمق بالإنسان ، إذ ليست أهلاً بأن يراعيها الإنسان أو يعتني بها ، فالذي يعتني بها جاهل .

والمراد بالجاهلية هنا : ما قبل البعثة ، لأنهم كانوا على جهل وضلال عظيم حتى إن العرب كانوا أجهل خلق الله ، ولهذا يسمون بالأميين ، والأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسبة إلى الأم ، كأن أمه ولدته الآن .

لكن لما بعث فيهم هذا النبي الكريم ، قال تعالى :

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمران : 164] ، فهذه منة عظيمة أن بعث فيهم النبي عليه الصلاة والسلام لهذه الأمور السامية :

1- يتلو عليه آيات الله .

2- ويزكيهم ، فيطهر أخلاقهم وعبادتهم وينميها .

3- ويعلمهم الكتاب .

4- والحكمة .

هــذه فوائد أربع عظيمة لو وزنت الــدنيا بواحــدة منها لوزنتها عند من يعــرف قــدرها ، ثم بين الحــال من قبل فقــال **﴿وإن كــانوا من قبل لفي ضــلال مــبين ﴾ و(إن هــذه ليست نافية بل مؤكـــدة؛ فهي مخففة من الثقيلـــة، يعني: وإنهم كانوا من قبل لفي ضلال مبين.**

إذن المراد بالجاهلية ما قبل البعثة ، لأن الناس كانوا فيها على جهل عظيم . فجهلمم شـــــامل للجهل فى حقــــوق الله وحقوق عباده ، فمن جهلهم أنهم ينصبون النصب ويعبدونها من دون الله ، ويقتل أحدهم أبنته لكي لا يعير بها ، ويقتل أولاده من ذكور وإناث خشية الفقر .

قوله : **" لا يتركونهن "** . المراد : لا يتركون كل واحد منها باعتبار المجموع بالمجموع ، بأن يكون كل واحد منها عند جماعة ، والثاني عند أخرين ، والثالث عند أخرين ، والرابع عند أخرين ، وقد تجتمع هذه الأقسام فى قبيلة ، وقد تخلو بعض القبائل منها جميعاً ، إنما الأمة كمجموع لابد أن يوجد فيها شيء من ذلك ، لأن هذا خبر من الصادق المصدوق ، والمراد بهذا الخبر التنفير ، لأنه قد يخبر بأشياء تقع وليس غرضه أن يؤخذ بها ، كما قال " التركبن سنن من كان قبلكم اليهود

والنصارى [1]، أي : فاحذروا ، وأخبر : **" أن الظعينة تخرج من صنعاء إلى حضرموت لا تخشى إلا الله "** [2]، أي : بلا محرم ، وهذا خبر عن أمر واقع وليس إقراراً له شرعاً .
قوله **"أمتي "** أي : أمة الإجابة .
قوله : **" الفخر بالأحساب "** . الفخر : التعالى والتعاظم ، والباء للسببية ، أي : يفخر بسبب الحسب الذي هو عليه .

والحسب : ما يحتسبه الإنسان من شرف وسؤدد ، كأن يكون من بني هاشم فيفتخر بذلك ، أو من آباء وأجداد مشهورين بالشجاعة ، فيفتخر بذلك ، وهذا من أمر الجاهلية ، لأن الفخر في الحقيقة يكون بتقوى الله الذي يمنع الإنسان من التعالى والتعاظم ، والمتقي حقيقة هو الذي كلما أزدادت نعم الله عليه ازداد تواضعاً للحق وللخلق .
وإذا كان الفخر بالحسب من فعل الجاهلية ، فلا يجوز لنا أن نفعله ، ولهذا قال تعالى لنساء نبيه : **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** [الأحزاب : 33] ، وأعلم أن كل ما ينسب إلى الجاهلية ، فهو مذموم ومنهي عنه .
قوله : **" الطعن فى الأنساب "** . الطعن العيب ، لأنه وخز معنوي كوخز الطاعون فى الجسد ، ولهذا سمي العيب طعناً .
والأنساب : جمع نسب ، وهو أصل الأنسان وقرابته ، فيطعن في نسبه كأن يقول : أنت ابن الدباغ ، أو أنت ابن مُقطّعة البظور – وهى شيء في فرج المرأة يقطع عند ختان النساء - .
قوله : **" والاستسقاء بالنجوم " .** أي : نسبة المطر إلى النجوم مع أعتقاد أن الفاعل هو الله – عز وجل ، أما إن أعتقد أن النجوم هي التي تخلق المطر والسحاب أو دعاها من دون الله لتنزل المطر ، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة .
قوله : **" والنياحة على الميت "** . هذا هو الرابع ، والنياحة : هي رفع الصوت بالبكاء على الميت قصداً ، وينبغي أن يضاف إليه على سبيل النوح ، كنوح الحمام .
والندب : تعداد محاسن الميت .
والنياحة من أمر الجاهلية ، ولابد أن تكون في هذة الأمة ، وإنما كانت من أمر الجاهلية :
إما من الجهل الذي هو ضد العلم .

أو من الجهالة التي هى السفة ، وهي ضد الحكمة .
وإنما كانت لأمور ، هي :

1. **أنها لا تزيد النائح إلا شدة وحزناً وعذاباً .**
2. **أنها تسخط من قضاء الله وقدره وأعتراض عليه .**
3. **أنها تهيج أحزان غيره .**

وقد ذكر عن ابن عقيل رحمه الله – وهو من علمائنا الحنابلة - أنه خرج في جنازة ابنه عقيل وكان أكبر أولاده وطالب علم ، فلما كانوا في المقبرة صرخ رجل وقال : ﴿**يا أيها العزيز إن له شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه آنا نراك من المحسنين**﴾ [يوسف : 78] ، فقال له ابن عقيل رحمه الله : إن القرآن إنما نزل لتسكين الأحزان ، وليس لتهييج الأحزان .

4 – أنه مع هذه المفاسد لا يرد القضاء ، ولا يرفع ما نزل .

والنياحة تشمل ما إذا كانت من رجل أو أمرأة . لكن الغالب وقوعها من النساء ، ولهذا قال : " النائحة إذا لم تتب قبل موتها " ؟ أي : إن تابت قبل الموت ، تاب الله عليهما ، وظاهر الحديث أن هذا الذنب لا تكفره إلا التوبة ، وأن الحسنات لا تمحوه ، لأنه من كبائر الذنوب والكبائر لا تمحى بالحسنات ، فلا يمحوها إلا التوبة .

وقال : " النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب " . رواه مسلم ([1]) **.**

قوله " **تقام يوم القيامة** " . أي تقام من قبرها .

قوله : " **وعليها سربال من قطران** " **.** السربال : الثوب السابغ كالدرع ، والقطران معروف ، ويسمى " الزفت " وقيل : إنه النحاس المذاب .

قوله : " **ودرع من جرب** " . الجرب : مرض معروف يكون فى الجلد ، يؤرق الأنسان ، وربما يقتل الحيوان ، والمعنى أن كل جلدها يكون جرباً بمنزله الدرع ، وإذا أجتمع قطران وجرب زاد البلاء ، لأن الجرب أي شيء يمسه يتأثر به ، فكيف ومعه قطران ؟!

والحكمة أنها لما لم تغط المصيبة بالصبر غطيت بهذا الغطاء سربال من قطران ودرع من جرب ، فكانت العقوبة من جنس العمل .

- **ويستفاد من الحديث :**

1. **ثبوت رسالته ﷺ ، لأنه أخبر عن أمر من أمور الغيب فوقع كما أخبر .**
2. **التنفير من هذه الأشياء الأربعة : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة على الميت .**
3. **أن النياحة من كبائر الذنوب لوجود الوعيد عليها في الآخرة ، وكل ذنب عليه الوعيد فى الآخرة ، فهو من الكبائر .**
4. **أن كبائر الذنوب لا تكفر بالعمل الصالح ، لقوله : " إذا لم تتب قبل موتها"**

5- **أن من شروط التوبة أن تكون قبل الموت لقوله : "إذا لم تتب قبل موتها " ، ولقوله تعالى : وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن [النساء : 18].**
6- **أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة ، فمن أهل العلم من قال : إنه داخل تحت المشيئة : إن شاء الله عذبه ، وإن شاء غفر له .**

ومن أهل العلم من قال : إنه ليس بداخل تحت المشيئة ، وإنه لابد أن يعاقب ، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيميه لإطلاق **قوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به [النساء : 116] ،** فقال : والشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر ، وبهذا نعرف عظم سيئة الشرك ، قال ابن مسعود رضي الله عنه **: " لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً "** [1]

لأن الحلف بغير الله من الشرك ، والحلف بالله كاذباً من كبائر الذنوب وسيئة الشرك أعظم من سيئة الذنب .

7- **ثبوت الجزاء والبعث .**
8- **أن الجزاء من جنس العمل .**

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه ، قال " صلى لنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصراف ، اقبل على الناس ، فقال " هل تدرون ماذا قال ربكم " ؟.

قوله في حديث زيد بن خالد " صلى لنا . أي إماماً ، لأن الإمام يصلي لنفسه ولغيره ، ولهذا يتبعه المأموم ، وقيل : إن اللام بمعنى الباء ، وهذا قريب وقيل : إن اللام للتعليل ، آي : صلى لآجلنا .

قوله : **" صلاة الصبح بالحديبية "** . أى صلاة الفجر ، والحديبية فيها لغتان : التخفيف ، وهو أكثر ، والتشديد ، وهى أسم بئر سمي بها المكان ، وقيل أن أصلها شجرة حدبا تسمى حديبية ، والأكثر على أنها بئر ، وهذا المكان قريب من مكة بعضه في الحل وبعضه فى الحرم ، نزل به الرسول في السنة السادسة من الهجرة لما قدم معتمراً ، فصده المشركون عن البيت ، وما كانوا أولياءه ، إن أولياؤه إلا المتقون ، ويسمى الآن الشميسي .

قوله : **" على إثر سماء كانت من الليل "** . الإثر معناه العقب ، والأثر معناه العقب ، والأثر : ما ينتج عن السير .

قوله : **" سماء "** . المراد به المطر .

قوله : **" كانت من الليل "** . " من " لابتداء الغاية هذا هو الظاهر – والله أعلم - ، ويحتمل أن تكون بمعنى فى للظرفية .

قوله : **" فلما أنصرف "** أي : من صلاته ، وليس من مكانه بدليل قوله : " أقبل على الناس "

قوله : **" هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ "** . الأستفهام يراد به التنبيه والتشويق لما سيلقى عليهم ، وإلا ، فالرسول يعلم أنهم لا يعلمون ماذا قال الله ، لأن الوحي لا ينزل عليهم .

ومعنى قوله : " **هل تدرون** " . أي : هل تعلمون .

والمــراد بالربوبية هنا الخاصة ، لأن ربوبية الله للمــؤمن خاصة كما أن عبودية المؤمن له خاصة ، ولكن الخاصة لا تنــافي العامة ، لأن العامة تشمل هذا وهذا ، والخاصة تختص بالمؤمن .

قوله : " **قالوا : الله ورسوله** " . فيه إشكال نحوي ، لأن : " **اعلم** " خبر عن اثنين ، وهي مفرد ، فيقال : أن أسم التفضيل : إن اسم التفضيل إذا نوي به معنى "من"، وكان مجرداً من أل والإضافة لزم فيه الإفراد والتذكير .

وفيه أيضاً إشكال معنوى ، وهو أنه جمع بين الله ورسوله بالواو ، مع أن الرسول لما قال له الرجل : " **ما شاء الله وشئت . قال أجعلتنى لله نداً !** " [1]

فيقال : أن هذا أمر شرعي ، وقد نزل على الرسول .

وأما إنكاره على من قال : ما شاء وشئت ، فلأنه أمر كوني ، والرسول ليس له شأن فى الأمور الكونية .

والمراد بقولهم : " **الله ورسوله أعلم** " تفويض العلم إلى الله ورسوله ، وأنهم لا يعلمون .

قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " **أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر ، فأما من قال ، مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب** " [1]

قوله : " **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر** " . " **مؤمن** " صفة لموصوف محذوف ، أي : عبد مؤمن ، وعبد كافر .

و" أصبح " : من أخوات كان ، وأسمها : " **مؤمن** " ، وخبرها : " من عبادي ". ويجوز أن يكون " **أصبح** " فعلاً ماضياً ناقصاً ، وأسمها ضمير الشأن ، أي : أصبح الشأن ، فـ " **من عبادي** " خبر مقدم ، و"**مؤمن** " مؤخر ، أي : أصبح شأن الناس منهم مؤمن ومنهم كافر .

قوله : " **فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته** " . أي : قال بلسانه وقلبه ، والباء للسببية ، وأفضل : العطاء والزيادة .

والرحمة : صفة من صفات الله ، يكون بها الإنعام والإحسان إلى الخلق .

وقوله : " **فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب** ". لأنه نسب المطر إلى الله ولم ينسبه إلى الكوكب ، ولم ير له تأثيراً في نزوله ، بل نزل بفضل الله .

قوله : " **وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا** " . الباء للسببية ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ، وصار كافراً بالله ، لأنه أنكر نعمة الله ونسبها إلى سبب لم يجعله الله سبباً ، فتعلقت نفسه بهذا السبب ، ونسي نعمة الله ، وهذا الكفر لا يخرج من الملة ، لأن المراد نسبة المطر إلى النوء على أنه سبب وليس إلى النوء على أنه فاعل .

لأنه قال : " **مطرنا بنوء كذا** " ، ولم يقل : أنزل علينا المطر نوء كذا ، لأنه لو قال ذلك ، لكان نسبة المطر إلى النوء نسبة إيجاد ،

وبه نعرف خطأ من قال : إن المراد بقوله : " **مطرنا بنوء كذا "** نسبة المطر إلى النوء نسبة أيجاد ، لأنه لو كان هذا هو المراد لقال : أنزل علينا المطر نوء كذا ولم يقل مطرنا به .

فعلم أن المراد أن من أقر بأن الذي خلق المطر وأنزله هو الله ، لكن النوء هو السبب ، فهو كافر ، وعليه يكون من باب الكفر الأصغر الذى لا يخرج من الملة.

والمراد بالكوكب النجم ، وكانوا ينسبون المطر إليه ، ويقولون : إذا سقط النجم الفلاني جاء المطر ، وإذا طلع النجم الفلاني جاء المطر ، وليسوا ينسبونه إلى هذا نسبة وقت ، وإنما نسبة سبب **،**

فنسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1- نسبة إيجاد ، وهذه شرك أكبر .

2- نسبة سبب ، وهذه شرك أصغر .

3- نسبة وقت ، وهذه جائزة بأن يريد بقوله : مطرنا بنوء كذا ، أي : جاءنا المطر فى هذا النوء أي فى وقته .

ولهذا قال العلماء : يحرم أن يقول : مطرنا بنوء كذا ، ويجوز مطرنا في نوء كذا ، وفرقوا بيهما أن الباء للسببية ، و"في " للظرفية ، ومن ثم قال أهل العلم : إنه إذا قال : مطرنا بنوء كذا وجعل الباء للظرفية فهذا جائز ، وهذا وإن كان له وجه من حيث المعنى ، لكن لا وجه له من حيث اللفظ ، لأن لفظ الحديث : " من قال : مطرنا بنوء كذا " ، والباء للسببية أظهر منها للظرفية ، وهي وإن جاءت للظرفية كما فى قوله تعالى **: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل [الصافات : 137، 138]** ، لكن كونها للسببية أظهر ، والعكس بالعكس ، **"في "** للظرفية أظهر منها للسببية وإن جاءت للسببية ، كما في قوله "دخلت امرأة النار في هرة "[1]

والحاصل أن الأقرب المنع ولو قصد الظرفية ، لكن إذا كان المتكلم لا يعرف من الباء إلا الظرفية مطلقاً ، ولا يظن أنها تأتى سببية ، فهذا جائز ، ومع ذلك فالأولى أن يقال لهم : قولوا : فى نوء كذا .

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه **قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا . فأنزل الله هذه الآيات [1] : فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقران كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين * أفبهذا الحديث أنت مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون " [الواقعة : 75-82].**

قوله : " **ولهما** " . الظاهر أنه سبق قلم ، وإلا ، فالحديث في " مسلم " وليس في الصحيحين " .

ومعنى الحديث : أنه لما نزل المطر نسبه بعضهم إلى رحمة الله وبعضهم قال : لقد صدق نوء كذا وكذا ، فكأنه جعل النوء هو الذي أنزل المطر أو نزل بسببه .

ومنه ما يذكر في بعض كتب التوقيت : **"وقل أن يخلف نوؤه "** ، أو : **"هذا نوؤه صادق** " ، وهذا لا يجوز ، وهو الذي أنكره الله – عز وجل – على عباده ، وهذا شرك أصغر ، ولو قال بإذن الله ، فإنه لا يجوز لأن كل الأسباب من الله ، والنوء لم يجعله الله سبباً .

قوله : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ **.** أختلف في ﴿لا﴾ ، فقيل : نافية، والمنفى محذوف ، وتقدير لا صحة لما تزعمون من أن القرآن كذب أو سحر وشعر وكهانة ، أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم .

فأقسم لا علاقة لها بـ ﴿**لا**﴾إطلاقاً ، وهذا له بعض الوجه ، وقيل : أن المنفي القسم ، فهي داخلة على أقسم ، أي : لا أقسم ولن أقسم على أن القرآن كريم ، لأن الأمر أبين من أن يحتاج إلى قسم ، وهذا ضعيف جداً .

وقيل : إن ﴿**لا**﴾للتنبيه ، والجملة بعدها مثبتة ، لأن ﴿**لا** ﴾بمعنى انتبه ، أقسم بمواقع النجوم ... وهذا هو الصحيح .

فإن قيل : ما الفائدة من أقسامه سبحانه مع أنه صادق بلا قسم ، لأن القسم إن كان لقوم يؤمنون به ويصدقون كلامه ، فلا حاجة إليه ، وإن كان لقوم لا يؤمنون به ، فلا فائدة منه ، قال تعالى : ﴿**ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل أيه ما تبعوا قبلتك** ﴾ **[البقرة : 145] .**

أجيب : أن فائدة القسم من وجوه :

الأول : أن هذا أسلوب عربي لتأكيد الأشياء بالقسم ، وإن كانت معلومة عند الجميع ، أو كانت منكرة عند المخاطب ، والقرآن نزل بلسان عربي مبين .

الثاني : أن المؤمن يزداد يقيناً من ذلك ، ولا مانع من زيادة المؤكدات التى تزيد فى يقين العبد ، قال تعالى عن إبراهيم ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [البقرة : 260] .

الثالث : أن الله يقسم بأمور عظيمة دالة على كمال قدرته وعظمته وعلمه فكأن يقيم فى هذا المقسم به البراهين على صحة ما أقسم عليه بواسطة عظم ما أقسم به.

الرابع : التنويه بحال المقسم به ، لأنه لا يقسم إلا بشيء عظيم ، وهذان الوجهان لا يعودان إلى تصديق الخبر ، بل إلى ذكر الآيات التي أقسم بها تنويهاً له بها وتنبيهاً على عظمها .

الخامس : الاهتمام بالمقسم عليه ، وأنه جدير بالعناية والإثبات .

وقوله : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ . الله – سبحانه – يتحدث عن نفسه بضمير المفرد ، لأنه يدل على الانفراد والتوحيد ، فهو سبحانه واحد لا شريك له ، ويتحدث عن نفسه بضمير الجمع ، لأنه يدل على العظمة ، كقوله تعالى : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر : 9] ، وقوله : ﴿**إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وأثارهم** ﴾الآية [يس : 12] ولا يتحدث عن نفسه بالمثنى ، لأن المثنى محصور باثنين .

والباء حرف قسم ، والمواقع جمع موقع .

واختلف في النجوم ، فقيل أنها النجوم المعروفة ، فيكون المراد بمواقعها مطالعها ومغاربها .

وأقسم الله بها ، لما فيها من الدلالة على كمال القدرة في هذا الانتظام البديع وما فيها من مناسبة المقسم به والمقسم عليه ، وهو القرآن المحفوظ بواسطة الشهب ، فإن السماء عند نزول الوحي ملئت حرساً شديداً وشهباً .

وقيل : إن المراد آجال نزول القران ، ومنه قولهم : **" نزل القرآن منجماً "** ، وقول الفقهاء : يجب أن يكون دين المكاتب مؤجلاً بنجمين فأكثر ، فيكون الله أقسم بواقع نزول القرآن ، وقد سبقت لنا قاعدة مفيدة ، وهي أنه إذا كان المعنيان لا يتنافيان تحمل الآية على كل منهما ، وإلا ، طلب المرجح

قوله : **وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** . **قسم** خبر إن ، وهذا القسم أكد الله عظمته بإن واللام تنويهاً بالمُقْسَم عليه وتعظيمه.

وقوله : **لو تعلمون** . مؤكِّد ثالث أنه قال : ينبغى أن تعلموا هذا الأمر ولا تجهلوه ، فهو أعظم من أن يكون مجهولاً ، فإنه يحتاج إلى علم وانتباه ، فلو تعلمون حق العلم لعرفتم عظمته ، فانتبهوا .

قوله : **لقرآن** . مصدر مثل الغفران والشكران بمعنى اسم الفاعل ، وبمعنى اسم المفعول ، فعلى الأول يكون المراد أنه جامع للمعاني التي تضمنتها وبمعنى اسم السابقة من المصالح والمنافع ، قال تعالى : **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه [المائدة : 48] ، وعلى الثاني يكون بمعنى المجموع ، لأنه مجموع مكتوب .**

قوله : **كريم** . يطلق على كثير العطاء ، وهذا كمال فى العطاء متعد للغير ، ويطلق على الشئ البهيَّ الحَسَن ، ومنه قول النبي : **" إياك وكرائم أموالهم "** [1] ، أي : البهي منها والحسن ، وهذا كمال في الذات وهذان المعنيان موجودان في القرآن ، فالقرآن لا أحسن منه بذاته ، قال تعالى : **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً [الأنعام : 115]** .

والقرآن يعطي أهله من الخيرات الدينية والدنيوية والجسمية والقلبية ، قال تعالى : **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً [الفرقان : 52]** ، فهو سلاح لمن تمسك به ولكن يحتاج إلى أن تمسك به بالقول والعمل والعقيدة فلابد أن يصدق العقيدة العمل ، قال : **" ألا إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب "** [2]

ووصف الله القــرآن في آية أخــرى بأنه مجيد ، والمجد صــفة العظمة والعزة والقوة ، والقرآن جامع بين الأمرين : فيه قـوة وعظمة ، وكذا خيرات كثيرة وإحسان لمن تمسك به .

قوله : ﴿في كتاب مكنون ﴾. كتاب فعال بمعنى مفعول ، مثل : فراش بمعنى مفروش ، وغِراس بمعنى مغروس ، وكتاب بمعنى مكتوب .

والمكنون : المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ [الصافات: 49] . **واختلف المفسرون في هذا الكتاب على قولين :**

الأول : أنه اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء .

الثاني : وإليه ذهب ابن القيم أنه الصحف التي في أيدي الملائكة ، **قال تعالى : ﴿كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة ... ﴾ [عبس : 11-15]، فقوله : ﴿ بأيدي سفرة ﴾** يرجع إن المراد الكتب التي في أيدى الملائكة ، لأن قوله : ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ ، أي : الملائكة ، يوازن **قوله : ﴿ بأيدي سفرة ﴾** ، وعلى هذا يكون المراد بالكتاب الجنس لا الواحد .

قوله : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ . الضمير يعود إلى الكتاب المكنون ، لأنه أقرب شيء ، وهو بالرفع ﴿ **لا يمسه** ﴾ باتفاق القراء ، وإنما نبهنا على ذلك ، لدفع قول من يقول : إنه خبر بمعنى النهي ، والضمير يعود على القرآن ، أي : نهى أن يمس القرآن إلا طاهر ، والآية ليس فيها ما يدل على ذلك ، بل هي ظاهرة في أن المراد به اللوح المحفوظ ، لأنه أقرب مذكور ، ولأنه خبر ، والأصل في الخبر أن يبقى على ظاهره خبراً لا أمراً ولا نهياً حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك ، ولم يرد ما يدل على خلاف ذلك ، بل الدليل على أنه لا يراد به إلا ذلك ، وأنه يعود إلى الكتاب المكنون ، ولهذا **قال الله ﴿ إلا المطهرون** ﴾ باسم المفعول ، ولم يقل : إلا المطَّهِّرون ، ولو كان المراد المطَّهِّرون لقال ذلك ، أو قال : إلا المتطهرون ، كما **قال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.**

والمطهرون : هم الذين طهرهم الله تعالى ، وهم الملائكة ، طُهِّروا من الذنوب وأدناسها ، **قال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ [التحريم : 6]** .

وقال تعالى : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [الأنبياء : 20] ، وقال تعالى : ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبِّقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : 26-27] ، وفرق بين المطَّهِر الذي يريد أن يفعل الكمال بنفسه ، وبين المطَّهر الذي كمله غيره وهم الملائكة ، وهذا مما يؤيد ما ذهب إليه ابن القيم أن المراد بالكتاب الكتب التي في أيدي الملائكة ، وفي الآية إشارة على أن من طهر قلبه من المعاصي كان أفهم للقرآن ،وأن من تنجس قلبه بالمعاصي كان أبعد فهماً عن القرآن ، لأنه إذا كانت الصحف التي في أيدى الملائكة لم يمكن الله من مسها إلا هؤلاء المطهرين ، فكذلك معاني القرآن .

فاستنبط شيخ الإسلام من هذه الآية : أن المعاصي سبب لعدم فهم القرآن ، كما **قال تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين : 14] ،** وهم الذين قال الله فيهم

: ﴿ **إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ **[القلم : 15] ،** فهم لا يصلون إلى معانيها وأسرارها ، لأنه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .

وقد ذكر بعض أهل العلم : أنه ينبغي لمن أستُفتَي أن يُقدِّم بين يدي الفتوى الاستغفار لمحو أثر الذنب من قلبه حتى يتبين له الحق ، واستنبطه من **قوله تعالى :** ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً** ﴾ **[النساء : 105] .**

قوله ﴿ **تنزيل من رب العــالمين** ﴾ . خــبر ثــان لقوله : ﴿ **وإنه** ﴾ ، وهو كقوله **وأنه لتنزيل رب العـالمين** [الشـعراء، 192]، وقوله تنزيل من الــرحمن الــرحيم = ﴿ **كتـــاب فصـــلت آياته** ﴾ [فصلت : 2-3] ، فهو خبر مكرر مع قوله : ﴿ **لقرآن** ﴾ .

و﴿**تنزيل** ﴾ ، أي : منزل ، فهي مصدر بمعنى اسم المفعول منزل من رب العالمين ، أنزله الله على قلب النبي ﷺ ، لأنه محل الوعي والحفظ بواسطة جبريل ، **قال تعالى :** ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ **.**

وقوله : ﴿ **من رب العالمين** ﴾ **.** أي : خالقهم ، ويستفاد من الآية ما يلي :

1- أن القرآن نازل لجميع الخلق ، ففيه دليل على عموم رسالة النبي ﷺ
2- أنه نازل من ربهم ، وإذا كان كذلك ، فهو الحكم بينهم الحاكم عليهم.
3- أن نزول القرآن من كمال ربوبية الله ، فإذا أضيف إلى هذه الآية **قوله تعالى :** ﴿ **تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته** ﴾ ، علم أن القرآن رحمة للعباد أيضاً ، وربوبية الله مبنية على الرحمة ، **قال تعالى :** ﴿ **الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم** ﴾ **[الفاتحة : 2-3]** وكل ما أمر الله به عباده أو نهاهم عنه ، فهو رحمة بهم .
4- أن القرآن كلام الله ، لأنه إذا كان الله أنزله ، فهو كلامه لا كلام غيره كما قاله السلف رحمهم الله ، وهو غير مخلوق ، لأن جميع صفات الله حتى الصفات الفعلية ليست مخلوقة .

والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

فإن قيل : هل كل منزل غير مخلوق ؟

قلنا : لا ، لكن كل منزل يكون وصفاً إلى الله ، فهو غير مخلوق ، كالكلام ، وإلا فإن الله أنزل من السماء ماء وهو مخلوق ، **وقال تعالى :** ﴿ **وأنزلنا الحديد** ﴾ **[الحديد : 25]** وهو مخلوق ، **وقال تعالى :** ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثماينة أزواج** ﴾ **[الزمر : 6]** والأنعام مخلوقة ، فإذا كان المُنْزَل من عند الله صفه لا

تقوم بذاتها ، وإنما تقوم بغيرها ، لزم أن يكون غير مخلوق ، لأنه من صفات الله .

قوله : ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ .

الاستفهام للإنكار والتوبيخ.

والحديث : القرآن ، والمدهن :الخائف من غيره الذي يحابيه بقوله وفعله .

والمعنى : أتدهنون بهذا الحديث وتخافون وتستخفون ؟ ! لا ينبغي لكم هذا ، بل ينبغي لمن معه القرآن أن يصدع به وأن يبينه ويجاهد به ، قال تعالى : ﴿ وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ [الفرقان : 52] .

قوله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ .

أكثر المفسرين على أنه على حذف مضاف ، أي : أتجعلون شكر رزقكم ، أي : ما أعطاكم الله من شيء من المطر ومن إنزال القرآن ، أي : تجعلون شكر هذه النعمة العظيمة أن تكذبوا بها، والنبي ﷺ وإن كان ذكرها في المطر ، فإنها تشمل المطر وغيره .

وقيل : إنه ليس في الآية حذف ، والمعنى : تجعلون شكركم تكذيباً ، وقال : إن الشكر رزق ، وهذا هو الصحيح ، بل هو أكبر الأرزاق ، قال الشاعر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر

فالنعمة تحتاج إلى شكر ، ثم إذا شكرتها ، فهي نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ، وإن شكرت في الثانية ، فهي نعمة تحتاج إلى شكر ثالث ، وهكذا أبداً ، **قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [النحل : 18] .**

قوله : ﴿ أنكم تكذبون ﴾ . ﴿ أن ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول تجعلون الثاني ، أي : تُصيِّرون شكركم تكذيباً ، إن كانت وحياً كذَّب خبره ولم يمتثل أمره ولم يجتنب نهيه ، وإن كانت عطاء تنمو به الأجسام نسبة إلى غير الله ، قال : هذا من النوء أو هذا من عملي ، **كما قال قارون : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [القصص : 78] .**

- **فيه مسائل :**

الأولى : تفسير آية الواقعة : ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية . الثالثة : ذكر الكفر في بعضها . الرابعة : أمن من الكف ما لا يخرج من الملة . الخامسة قوله : " أصبح من عبدي مؤمن بي وكافر " ، بسبب نزول النعمة .

فيه مسائل :

- **الأول :** تفسير آية الواقعة . **وهي قوله تعالى : وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ، وقد مر تفسيرها .**
- **الثانية :** ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية . وهي الطعن في الأنساب ، والفخر بالأحساب ، والاستسقاء بالأنواء ، والنياحة على الميت .
- **الثالثة :** ذكر الكفر في بعضها . وهي الاستسقاء بالأنواء ، وكذلك الطعن في النسب ، والنياحة على الميت ، كما في حديث : " اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت " [1]
- **الرابعة :** أن من الكفر ما لا يخرج من المللة . وهي أن الاستسقاء بالأنواء بعضه كفر مخرج عن المله وبعضه كفر دون ذلك ، وقد سبق بيان ذلك .
- **الخامسة : قوله : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر "** بسبب نزول النعمة .

أى : إن الناس ينقسمون عند نزول النعمة إلى مؤمن بالله وكافر به ، وقد سبق بيان حكم إضافة نزول المطر إلى النوء ، والواجب على الأنسان إذا جاءته النعمة أن لا يضيفها إلى أسبابها مجردة عن الله ، بل يعتقد أن هذا سبب محض إن كان هذا سبباً ، مثال ذلك : رجل غرق في ماء ، وكان عنده رجل قوي ، فنزل وأنقذه ، فإنه يجب على هذا الذي نجا أن يعرف نعمة اله عليه ، ولولا أن الله أمراً قدرياً شرعياً أن ينقذك هذا الرجل ما حصل إنقاذ ، فأنت تعتقد أن هذا سبب محض .

أما أن غرق ويسر الله له ، فخرج فقال : إن الولي الفلاني أنقذني ، فهذا شرك أكبر ، لأنه سبب غير صحيح ، ثم أن إضافته إليه لا يظهر منها أنه يريد أنه سبب ، بل يريد أنه منقذ بنفسه ، لأن اعتقاد أنه سبب وهو في قبره وارد ، ولذلك كان أصحاب الأولياء إذا نزلت بهم شدة يسألون الأولياء دون الله تعالى ، فيقعون في الشرك الأكبر من حيث لا يعلمون أو من حيث يعلمون ، ثم قد يفتنون ، فيحصل لهم ما يريدون عند دعاء الأولياء لا به ، لأننا نعلم أن هؤلاء الأولياء لا يستجيبون لهم ، **لقوله تعالى : إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم [فاطر : 14] ، وقوله ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة [الأحقاف : 5] .**

- **السادسة : التفطن للإيمان في هذا الموضع .**
- **السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .**

- **السادسة :** التفطن للإيمان في هذا الموضع . وهو نسبة المطر إلى فضل الله ورحمته .
- **السابعة :** التفطن للكفر في هذا الموضع . وهو نسبة المطر إلى النوء ،

الثامنة : التفطن لقوله : " لقد صدق نوء كذا وكذا " .
التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقولة : " أتدرون ماذا قال ربكم ؟ " العاشرة : وعيد النائحة

فيقال : هذا بسبب النوء الفلاني ، و أشبه ذلك .

- **الثامنة التفطن لقوله : " لقد صدق نوء كذا وكذا "** . وهذا قريب من قوله : " مطرنا بنوء كذا " ، لأن الثناء بالصدق على النوء مقتضاه أن هذا المطر بوعده ، ثم بتنفيذ وعده .
- **التاسعة :** إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله : **" أتدرون ماذا قال ربكم "** . وذلك أن يلقي العالم على المتعلم السؤال لأجل أن ينتبه له ، وإلا ، فالرسول ، فالرسول يعلم أن الصحابة لا يعملون ماذا قال الله ، لكن أراد أن ينبههم لهذا الأمر ، فقال : " أتدرون ماذا قال ربكم ؟ " وهذا يوجب استحضار قلوبهم .
- **العاشرة** : وعيد النائحة . وذلك بقوله : " إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب " ، وهذا وعيد عظيم .

باب قول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ [البقرة : 165] .

قوله : باب قول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ...﴾ جعل المؤلف رحمه الله تعالى الآية هي الترجمة ، ويمكن أن يُعنى بهذه الترجمة باب المحبة .

وأصل الأعمال كلها هو المحبة ، فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب ، إما لجلب منفعه ، أو لدفع مضرة ، فإذا عمل شيئاً ، فلأنه يحبه إما لذاته كالطعام : أو لغيره كالدواء.

وعبادة الله مبنية على المحبة ، بل هي حقيقة العبادة ، إذ لو تعبدت بدون محبة صارت عبادتك قشراً لا روح فيها ، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللوصول إلى جنته ، فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك .

ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله .

- **والمحبة تنقسم إلى قسمين :**

القسم الأول : محبة عبادة ، وهي التي توجب التذلل والتعظيم ، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمتثل أمره ويجتنب نهيه ، وهذه خاصة بالله ، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة ، فهو مشرك شركاً أكبر ، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة .

القسم الثاني : محبة ليست بعبادة في ذاتها ، وهذه أنواع :

النوع الأول : المحبة لله وفي الله ، وذلك بأن يكـون الجـالب لها محبة الله ، أى : كـون الشـيء محبوبـاً لله تعـالى من أشـخاص ، كالأنبيـاء ، والرسل ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين .

أو أعمال ، كالصلاة ، والزكاة ، وأعمال الخير ، أو غير ذلك .

وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله .

النوع الثاني : محبة إشفاق ورحمة ، وذلك كمحبة الولد . والصغار ، والضعفاء ، والمرضى .

النوع الثالث : محبة إجلال وتعظيم لا عبادة ، كمحبة الإنسان لوالده ، ولمعلمه ، ولكبير من أهل الخير .

النوع الرابع : محبة طبيعية ، كمحبة الطعام ، والشراب ، والملبس ، والمركب ، والمسكن .

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول ، والبقية من قسم المباح ، إلا إذا أقترن بها ما يقتضى التعبد صارت عبادة ، فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم ، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب من أجل أن يقوم ببر والده صارت عبادة وكذلك يحب ولده محبة شفقة ، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله بإصلاح هذا الولد صارت عبادة .

وكذلك المحبة الطبيعية ، كالأكل والشرب والملبس والمسكن إذا قصد بها الاستعانة على عبادة صارت عبادة ، ولهذا **" حبب للنبي**

النساء والطيب " [1] من هذة الدنيا ، فحبب إليه النساء ، لأن ذلك مقتضى الطبيعة ولما يترتب عليه من المصالح العظيمة ، وحبب إليه الطيب ، لأنه ينشط النفس ويريحها ويشرح الصدر ، ولأن الطيبات للطيبين ، والله طيب لا يقبل إلا طيباً .

فهذه الأشياء إذا أتخذها الأنسان بقصد العبادة صارت عبادة ، قال النبي : " أنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى " [2] وقال العلماء : إن ما لا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب ، قالوا : الوسائل لها أحكام المقاصد ، وهذا أمر متفق عليه .

وقد ذكر المؤلف رحمه الله فى هذا الباب آيتين :

- **الأولى التي ترجم بها وهي قوله : ومن الناس .**

من تبعيضية ، هي ومجرورها خبر مقدم ، و **من يتخذ** مبتدأ مؤخر .

قوله : أنداداً . جمع ند ، وهو الشبية والنظير .

قوله : يحبونهم كحب الله . أي : في كيفيته ونوعه ، فالنوع أن يحب غير الله محبة عبادة .

والكيفية : أن يحبه كمحبة الله أو أشد ، حتى إن بعضهم يعظم محبوبه ويغار له أكثر مما يعظم الله ويغار له ، فلو قيل : أحلف بالله ، لحلف ، وهو كاذب ولم يبال ، ولو قيل : احلف بالند ، لم يحلف ، وهو كاذب ، وهذا شرك أكبر .

وقوله : كحب الله . للمفسرين فيها قولان :

الأولى : أنها على ظاهرها ، وأنها مضافة إلى مفعولها ، أي : يحبونهم كحبهم لله ، والمعنى يحبون هذه الأنداد كمحبة الله ، فيجعلونها شركاء لله في المحبة ، لكن الذين آمنوا أشد حباً لله من هؤلاء لله ، وهذا هو الصواب .

الثاني : أن المعنى كحب الله الصادر من المؤمنين .
أي : كحب المؤمنين لله ، فيحبون هذه الأنداد كما يحب المؤمنون الله – عز وجل - ، وهذا وإن احتمله اللفظ ، لكن السياق يأباه ، لأنه لو كان المعنى ذلك ، لكان مناقضاً **لقوله تعالى فيما بعد : والذين أمنوا أشد حباً لله .**

وكــانت محبة المؤمــنين لله أشد ، لأنها محبة خالصة ليس فيها شرك ، فمحبة المؤمنين أشد من حب هؤلاء لله .

فإن قيل : قد ينقدح في ذهن الإنسان أن المؤمنين يحبون هذه الأنداد نظراً **لقوله : أشد حباً لله ،** فما الجواب ؟

أجيب : أن اللغة العربية يجري فيها التفضيل بين شيئين وأحدهما خال منه تماماً ، ومنه **قوله تعالى : أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً [الفرقان : 24] ،** مع أن مستقر أهل النار ليس فيه خير **، وقال تعالى الله خير أما يشركون [النمل : 59] ،** والطرف الأخر ليس فيه شىء من هذه الموازنة ، ولكنها من باب مخاطبة الخصم بحسب اعتقاده .

- **مناسبة الآية لباب المحبة :**

مُنع الإنسان أن يحب أحداً كمحبة الله ، لأن هذا من الشرك الأكبر المخرج عن الملة ، وهذا يوجد في بعض العباد وبعض الخدم ، فبعض العباد يعظمون ويحبون بعض القبور أو الأولياء كمحبة الله أو أشد ، وكذلك بعض الخدم تجدهم يحبون هؤلاء الرؤساء أكثر مما يحبون الله ويعظمونهم أكثر مما يعظمون الله **، قال تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل * ربنا أتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ [الأحزاب : 67 ، 68] .**

وقوله : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [التوبة : 24]

- **الآية الثانية قوله تعالى : ﴿ قل إن كان إباؤكم وأبناؤكم ﴾.**

﴿ **آباؤكم** ﴾ . اسم كان ، وباقي الآية مرفوع معطوف عليه ، وخبر كان ﴿ **أحب إليكم من الله ورسوله** ﴾ ، والخطاب في **قوله : ﴿ قل** ﴾ للرسول ﷺ والمخاطب في **قوله : ﴿ آباؤكم** ﴾ الأمة .

والأمر في **قوله : ﴿فتربصوا﴾** يراد به التهديد ، أي : انتظروا عقاب الله ، ولهذا **قال : ﴿ حتى يأتى الله بأمره** ﴾ بإهلاك هؤلاء المؤثرين لمحبة هؤلاء الأصناف الثمانية على محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله .

فدلت الآية على أن محبة هؤلاء وإن كانت من غير محبة العبادة إذا فضلت على محبة الله صارت سبباً للعقوبة .

ومن هنا نعرف أن الإنسان إذا كان يهمل أوامر الله لأوامر والده ، فهو يحب أباه أكثر من ربه .

وما في القلوب وإن كان لا يعلمه إلا الله ، لكن له شاهد في الجوارح ، ولذا يروى عن الحسن ولذا يروى عن الحسب رحمه الله أنه **قال : " ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه "** ، فالجوارح مرآة القلب .

فإن قيل : المحبة في القلب ولا يستطيع الإنسان أن يملكها ، ولهذا يروى عن النبي ﷺ ، أنه **قال : " اللهم إن هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك "** [1]، وكيف للإنسان أن يحب شيئاً وهو يبغضه ، وهل هذا إلا من محاولات جعل الممتنع ممكناً ؟

أجيب : أن هذا إيراد ليس بوارد ، فالإنسان قد تنقلب محبته لشيء كراهة وبالعكس ، إما لسبب ظاهر أو لإرادة صادقة ، فمثلاً : لك صديق تحبه فيسرق منك وينتهك حرمتك ، فتكرهه لهذا السبب ، أو لإرادة صادقة ، كرجل يحب شرب الدخان ، فصار عنده إرادة صادقة وعزيمة ثابتة ، فكره الدخان ، فأقلع عنه.

وقال عمر رضى الله عنه للنبي : " إنك لأحب إلى من كل شيء إلا من نفسي. قال النبي : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك . قال : الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي . فقال النبي الآن يا عمر " [1]

فقد ازدادت محبة عمر رضي الله عنه للنبي وأقره النبي على أن الحب قد يتغير .

وربما تسمع عن شخص كلاماً وأنت تحبه فتكرهه ، ثم يتبين لك أن هذا الكلام كذب ، فتعود محبتك إياه .

عن أنس ، أن رسول الله قال : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين". أخرجاه [2]**.**

قوله في حديث أنس : " لا يؤمن " . هذا نفي للإيمان ، ونفي الإيمان تارة يراد به نفي الكمال الواجب ، وتارة يراد به نفي الوجود ، أي : نفي الأصل .

والمنفي في هذا الحديث هو كمال الإيمان الواجب ، إلا إذا خلا القلب من محبة الرسول إطلاقاً ، فلا شك أن هذا نفي لأصل الإيمان .

قوله : " من ولده " . يشمل الذكر والأنثي ، وبدأ بمحبة الولد ، لأن تعلق القلب به أشد من تعلقه بأبيه غالباً .

قوله : " ووالده " يشمل أباه ، وجده وإن علا ، وأمه ، وجدته وإن علت .

قوله : "والناس أجمعين " . يشمل أخوته وأعمامة وأبناءهم وأصحابه ونفسه ، لأنه من الناس ، فلا يتم الإيمان حتى يكون الرسول أحب إليه من جميع المخلوقين

وإذا كان هذا في محبة رسول الله ، فكيف بمحبة الله تعالى ؟ !

<u>ومحبة رسول الله تكون لأمور :</u>

الأول : أنه رسول الله ، وإذا كان الله أحب إليك من كل شىء ، فرسوله أحب إليك من كل مخلوق .

الثاني : لِمَا قام به من عبادة الله وتبليغ رسالته .

الثالث : لما آتاه الله من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال .

الرابع : أنه سبب هدايتك وتعليمك وتوجيهك .

الخامس : لصبره على الأذى في تبليغ الرسالة .

السادس : لبذل جهده بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله .

- **ويستفاد من هذا الحديث ما يلى :**

1- وجوب تقديم محبة الرسول على محبة النفس .
2- فداء الرسول بالنفس والمال ، لأنه يجب أن تقدم محبته على نفسك ومالك .
3- أنه يجب على الإنسان أن ينصر سنة رسول الله ويبذل لذلك نفسه وماله وكل طاقته ، لأن ذلك من كمال محبة رسول الله ، ولذلك قال بعض أهل العلم في **قوله : إن شانئك هو الأبتر**

﴾ **[الكوثر : 3]** ، أي : مبغضك ، قالوا : وكذلك من أبغض شريعته ﷺ ، فهو مقطوع لا خير فيه .

4- جواز المحبة التي للشفقة والإكرام والتعظيم ، **لقوله ﷺ : " أحب إليه من ولده ووالده ... "** ، فأثبت أصل المحبة ، وهذا أمر طبيعي لا ينكره أحد .

5- وجوب تقديم قول الرسول ﷺ على قول كل الناس ، لأن من لازم كونه أحب من كل أن يكون قوله مقدماً على كل أحد من الناس ، حتى على نفسك ، فمثلاً : أنت تقول شيئاً وتهواه وتفعله ، فيأتي إليك رجل ويقول لك : هذا يخالف قول الرسول ﷺ ، فإذا كان الرسول أحب إليك من نفسك ، فأنت تنتصر للرسول أكثر مما تنتصر لنفسك ، وترد على نفسك بقول الرسول ﷺ ، فتدع ما نهواه من أجل طاعة الرسول ﷺ ، وهذا عنوان تقديم محبته على محبة النفس ، ولهذا قال بعضهم :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

إذا يؤخذ من هذا الحديث وجوب تقديم قول الرسول ﷺ على قول كل الناس حتى على قول أبى بكر وعمر وعثمان ، وعلى قول الأئمة الأربعة ومن بعدهم ، **قال الله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب : 36] .**

لكن إذا وجدنا حديثاً يخالف الأحاديث الأخرى الصحيحة أو مخالفاً لقول أهل العلم وجمهور الأمة ، فالواجب التثبت والتأني في الأمر ، لأن اتباع الشذوذ يؤدي إلى الشذوذ .

ولهذا إذا رأيت حديثاً يخالف ما عليه أكثر الأمة أو يخالف الأحاديث الصحيحة التي كالجبال في رُسوِّها ، فلا تتعجل في قبوله ، بل يجب عليك أن تراجع وتطالع في سنده حتى يتبين لك الأمر ، فإذا تبين ، فإنه لا بأس أن يُخَصَّص الأقوى بأضعف منه إذا كان حجة ، فالمهم التثبت في الأمر ، وهذه القاعدة تنفعك في كثير من الأقوال التى ظهرت أخيراً ، وتركها الأقدمون وصارت محل نقاش بين الناس ، فإنه يجب اتباع هذه القاعدة ، ويقال : أين الناس من هذه الأحاديث ؟ ولو كانت هذه الأحاديث من شريعة الله ، لكانت منقولة باقية معلومة مثل ما ذكر أن الإنسان إذا لم يطف طواف الإفاضة قبل أن تغرب الشمس يوم العيد ، فإنه يعود محرماً ، فإن هذا الحديث [1] وإن كان ظاهر سنده الصحة ، لكنه ضعيف وشاذ ، ولهذا لم يُذكر أنه عمل به إلا رجل أو رجلان من التابعين ، وإلا ، فالأمة على خلافه ، فمثل هذه الأحاديث يجب أن يتحرى الإنسان فيها ويتثبت ، ولا نقول : إنها لا يمكن أن تكون صحيحة .

- **مناسبة هذا الحديث للباب :**

مناسبة هذا الحديث ظاهرة ، إذ محبة الرسول من محبة الله ، ولأنه إذا كان لا يكمل الإيمان حتى يكون الرسول أحب إلى الإنسان من نفسه والناس أجمعين ، فمحبة الله أولى وأعظم .

ولهما عنه ، قال : قال رسول " ثلاث من كن فيه ، وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار"[1]وفى رواية " لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ....."[2] . إلى آخره .

قوله في حديث أنس الثاني : " ثلاث من كن فيه " أي : ثلاث خصال ، و" كن " بمعنى وجدن فيه .

وإعراب " ثلاث " : مبتدأ ، وجاز الابتداء بها لأنها بها لأنها مفيدة على حد قول ابن مالك : ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد .

وقوله : " من كن فيه " . " من " : شرطية ، و " لكن " : أصلها كان ، فتكون فعلاً ماضياً ناسخاً ، والنون اسمها ، و " فيه " : خبرها .

قوله : "وجد بهن " . وجد : فعل ماض في محل جزم جواب الشرط ، والجملة من فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ .

وقوله : " وجد بهن حلاوة الإيمان " . الباء للسببية ، وحلاوة مفعول وجد ، وحلاوة الإيمان : ما يجده الإنسان في نفسه وقلبه من الطمأنينة والراحة والانشراح ، وليست مدركة باللعاب والفم ، فالمقصود بالحلاوة هنا الحلاوة القلبية.

<u>الخصلة الأولى من الخصال الواردة في الحديث :</u>

قوله : " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " . الرسول محمد وكذا جميع الرسل تجب محبتهم .

قوله : " أحب إليه مما سواهما " . أي : أحب إليه من الدنيا كلها ونفسه وولده ووالده وزوجه وكل شيء سواهما ، فإن قبل : لماذا جاء الحديث بالواو " الله ورسوله " وجاء الخبر لهما جميعاً " أحب إليه مما سواهما " ؟

فالجواب : لأن محبة الرسول من محبة الله ، ولهذا جعل قوله : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركناً واحداً ، لأن الإخلاص لا يتم إلا بالمتابعة التي جاءت عن طريق النبي .

ـ الخصلة الثانية: ـ

قوله : " وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله " .

قوله : " وأن يحب المرء " يشمل الرجل والمرأة .

قوله : " لا يحبه إلا لله " : اللام للتعليل ، أى : من أجل الله ، لأنه قائم بطاعة الله – عز وجل - .

وحب الإنسان للمرء له أسباب كثيرة : يحبه للدنيا ، ويحبه للقرابة ، ويحبه للزمالة ، ويحب المرء زوجته للاستمتاع ، ويحب من

أحسن إليه ، لكن إذا أحببت هذا المرء لله ، فإن ذلك من أسباب وجود حلاوة الإيمان .

الخصلة الثالثة :

قوله : " وأن يكــره أن يعــود في الكفر بعد إذ أنقــذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " .

هذه الصورة في كافر أسلم ، فهو يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار ، وأنما ذكر هذه الصورة ، لأن الكافر يألف ما كان عليه أولاً ، فربما يرجع إليه بخلاف من لا يعرف الكفر أصلاً .

فمن كره العود في الكفر كما يكره القذف في النار ، فإن هذا من أسباب وجود حلاوة الإيمان .

قوله : " وفي رواية لا يجد حلاوة الإيمان " .

أتى المؤلف بهذه الرواية ، لأن انتفاء وجدان حلاوة الإيمان بالنسبة للرواية الأولى عن طريق المفهوم ، وهذه عن طريق المنطوق ، ودلالة المنطوق أقوى من دلالة المفهوم .

وعن ابن عباس قال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى فى الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان – وإن كثرت صلاته وصومه – حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً " رواه ابن جرير " [1].

قوله في أثر ابن عباس رضي الله عنهما : " من أحب في الله " . " من " شرطية ، وفعل الشرط أحب ، وجوابه جملة : " فإنما تنال ولاية الله بذلك " .

و" في " : يحتمل أن تكون للظرفية ، لأن الأصل فيها الظرفية ، ويحتمل أن تكون للسببية ، لأن " في " تأتي أحياناً للسببية ، كما في قوله : " دخلت امرأة النار في هرة " [2] أي : بسبب هرة .

وقوله : " في الله " أي : من أجله ، إذا قلنا : إن في للسببية ، وأما إذا قلنا : إنها للظرفية ، فالمعنى : من أحب في ذات الله ، أي: في دينه وشرعه لا لعرض الدنيا .

قوله : " وأبغض في الله " . البغض الكره ، أي : أبغض في ذات الله إذا رأى من يعصى الله كرهه .

وفرق بين " في " التى للسببية و " في " التي للظرفية ، فالسببية الحامل له على المحبة أو البغضاء هو الله ، والظرفية موضع الحب أو الكراهية هو في ذات الله – عز وجل -، فيبغض من أبغضه الله ، ويحب من أحبه .

قوله : " ووالى في الله " . الموالاة هي المحبة والنصرة وما أشبه ذلك .

قوله : " وعادي في الله " . المعاداة ضد الموالاة ، أي : يبتعد عنهم ويبغضهم ويكرههم في الله .

قوله : " فإنما تنال ولاية الله بذلك . هذا جواب الشرط ، أي : يدرك الإنسان ولاية الله ويصل إليها ، لأنه جعل محبته وبغضه وولايته ومعاداته لله .

وقوله : " ولاية " . يجوز في الواو وجهان : الفتح والكسر ، قيل : معناهما واحد، وقيل : بالفتح بمعنى النصرة ، قال تعالى ما لكم من ولايتهم من شىء ، وبالكسر بمعنى الولاية على الشيء .

قوله : " بذلك " . الباء للسببية ، والمشار إليه الحب في الله والبغض فيه ، والموالاة فيه والمعاداة فيه .

وهذا الأثر موقوف ، لكنه بمعنى المرفوع ، لأن ترتيب الجزاء على العمل لا يكون إلا بتوقيف ، إلا الإثر ضعيف .

فمعنى الحديث : أن الإنسان لا يجد طعم الإيمان وحلاوته ولذته حتى يكون كذلك ، ولو كثرت صلاته وصومه ، وكيف يستطيع عاقل فضلاً عن مؤمن أن يوالي أعداء الله ، فيرى أعداء الله يشركون به ويكفرون به ويصفونه بالنقائص والعيوب ، ثم يواليهم ويحبهم ؟ ! فهذا لو صلى وقام الليل كله وصام الدهر كله ، فإنه لا يمكن أن ينال طعم الإيمان ، فلابد أن يكون قلبك مملوءً بمحبة الله وموالاته ، ويكون مملوءاً ببغض أعداء الله ومعاداتهم ، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حبا له ما ذاك في إمكان

وقال الإمام أحمد رحمه الله : " إذا رأيت النصراني أغمض عيني ، كراهة أن أرى بعينى عدو الله " .

هذا الذي يجد طعم الإيمان ، أما – والعياذ بالله - الذى يرى أن اليهود أو النصارى على دين مرضي ومقبول عند الله بعد بعثة النبي ، فهو خارج عن الإسلام ، مكذب **بقول الله : ورضيت لكم الإسلام ديناً [المائدة : 3] ،**

وقوله : إن الدين عند الله الإسلام [آل عمران : 19] وقوله : ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين [آل عمران:85] ولكثرة اليهود والنصارى والوثنين صار في هذه المسألة خطر على المجتمع ، وأصبح كثير من الناس الآن لا يفرق بين المسلم وكافر ، ولا يدري أن غير المسلم عدو لله – عز وجل - ، بل هو عدو له أيضاً ، لقوله تعالى : يا أيها الذين أمنوا لا يتخذوا عدوي وعدكم أوليا [الممتحنة : 1] ، فهم أعداء لنا ولو تظاهروا بالصداقة ، قال الله تعالى : يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين [المائدة : 51].

فالآن أصبحنا في محنة وخطر عظيم ، لأنه يخشى على أبنائنا وأبناء قومنا أن يركنوا إلى هؤلاء ويوادوهم يحبوهم ، ولذلك يجب أن تخلص هذه البلاد بالذات منهم ، فهذه البلاد قال فيها الرسول : " لآخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً " [1]

، وقال " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " [2] وقال "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، وهذا كله من أجل أن لا يشتبه الأمر على الناس ويختلط أولياء الله بأعدائه .

قوله : " وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً "

قوله : " عامة " . أي : أغلبية .

"مؤاخاة الناس": أي مودتهم ومصاحبتهم، أي: أكثر مودة الناس ومصاحبتهم على أمر الدنيا ، وهذا قاله ابن عباس ، وهو بعيد العهد منا قريب العهد من النبوة ، فإذا كان الناس قد تغيروا في زمنه ، فما بالك بالناس اليوم ؟

فقد صارت مؤاخاة الناس – إلا النادر – على أمر الدنيا ، بل صار أعظم من ذلك ، يبيعون دينهم بدنياهم ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ [الأنفال : 27] ، ولما كان غالب ما يحمل على الخيانة هو المال وحب الدنيا أعقبها بقوله : ﴿ وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ [الأنفال : 28] .

ويستفاد من أثر ابن عباس رضي الله عنهما :

أن الله تعالى أولياء ، وهو ثابت بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾ [البقرة : 257] ، وقال تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ [المائدة : 55] ، فلله أولياء يتولون أمره ويقيمون دينه ، وهو يتولاهم بالمعونة والتسديد والحفظ والتوفيق ، والميزان لهذه الولاية قوله تعالى : ﴿ إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس : 62] .

قال شيخ الإسلام : " من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً " . والولاية سبق أنها النصرة والتأييد والإعانة .

والولاية تنقسم إلى : ولاية من الله للعبد ، وولاية من العبد لله ، فمن الأولى **قوله تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ [البقرة : 257]** ومن الثانية **قوله تعالى ﴿ ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا .... ﴾ [المائدة : 56] .**

والولاية التي من الله للعبد تنقسم إلى عامة وخاصة ، فالولاية العامة هي الولاية على العباد بالتدبير والتصريف ، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق ، فالله هو الذي يتولى عباده بالتدبير والتصريف والسلطان وغير ذلك ، ومنه **قوله تعالى . ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ [الأنعام : 62].**

والولاية الخاصة : أن يتولى الله العبد بعناية وتوفيقه وهدايته ، وهذه خاصة بالمؤمنين ، **قال تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات ﴾ [البقرة : 257] وقال : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس : 62] .**

وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : 166] ، قال " المودة "[1].

قوله : " وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ ، قال : المودة " . يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين أتبعوا من الذين أتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ .

الأسباب : جمع سبب ، وهو كل ما يتوصل به إلى شيء .

وفى اصطلاح الأصوليين : ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم ، فكل ما يوصل إلى شىء ، فهو سبب ، **قال تعالى : ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع ﴾ [الحج : 15]** ، ومنه سمي الحبل سبباً ، لأن الإنسان يتوصل به إلى استخراج الماء من البئر .

وقوله : " قال : المودة " . هذا الأثر ضعفه بعضهم ، لكن معناه صحيح ، فإن جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون لتنجيهم تنقطع بهم ، ومنها محبتهم لآصنامهم وتعظيمهم إياها ، فإنها لا تنفعهم ، ولعل ابن عباس رضي الله عنهما أخذ ذلك من سياق الآيات ، فقد **قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون أخذ أنداداً يحبونهم كحب الله ...﴾ [البقرة : 165] ، ثم قال : ﴿ إذ تبرأ الذين أتبعوا من الذين أتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : 166] .**

وبه تعرف أن مراده المودة الشركية ، فأما المودة الإيمانية كمودة الله تعالى ومودة ما يحبة من الإعمال والإشخاص ، فإنها نافعة موصلة للمراد ، قال الله تعالى : ﴿ الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ...﴾ [الزخرف : 67] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير أية البقرة : الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال .

الرابعة : نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها . السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها. السابعة : فهم الصحابى للواقع ، أن عامة المؤاخاة على مر الدنيا .

الثامنة : تفسير : ﴿ وتقطعت بهم الإسباب ﴾ . التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً . العاشرة الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه . الحادية عشرة : أن من أتخذ نداً تساوى محبته الله ، فهو الشرك الأكبر .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة . وهي قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ . وسبق ذلك .

الثانية : تفسير آية براءة . وهي قوله تعالى : قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ... الأية : وسبق تفسيرها .
الثالثة : وجوب محبته على النفس والأهل والمال . وفي نسخة : " وتقديمها على النفس والأهل والمال " .
ولعل الصواب : وجوب تقديم محبته كما هو مقتضى الحديث ، وأيضاً قوله : " على النفس " يدل علي أنها قد سقطت كلمة تقديم أو وتقديمها ، وتؤخذ من حديث أنس السابق ومن قوله تعالى : قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ... أحب إليكم من الله ورسوله ، فذكر الأقارب والأموال .
الرابعة : أن تفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام . سبق أن المحبة كسبية ، وذكرنا في ذلك حديث عمر رضي الله عنه لما قال للرسول :" والله إنك لأحب إلى من كل شىء إلا من نفسي . فقال له ومن نفسك . فقال : الآن ، أنت أحب إلى من نفسي " قوله : " الآن " يدل على حدوث هذه المحبة ، وهذا أمر ظاهر ، وفيه أيضاَ أن نفي الإيمان المذكور في قوله : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ... " لا يدل على الخروج من الإسلام ، لقوله في الحديث الآخر : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان " ، لان حلاوة الإيمان أمر زائد على أصله ، أي إن الدليل مركب من الدليلين .
ونفي الشيء له ثلاث حالات : فالآصل أنه نفي للوجود ، وذلك مثل : " إيمان لعابد صنم " فإن منع مانع من نفي الوجود ، فهو نفي للصحة ، مثل " لا صلاة بغير وضوء " ، فإن منع مانع من نفي الصحة ، فهو نفي للكمال ، مثل : " لا صلاة بحضرة طعام " ، فقوله : " لا يؤمن أحدكم " نفي للكمال الواجب لا المستحب ، قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمة الله : " لاينفى الشيء إلا لانتفاء واجب فيه ما لم يمنع من ذلك مانع " .
الخامسة : إن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها . تؤخذ من قوله : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، وهذا دليل انتفاء الحلاوة إذا أنتفت هذه الإشياء .
السادسة : أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الأيمان إلا بها . وهي : الحب في الله ، والبغض في الله ، والولاء في الله ، والعداء في الله .
لا تنال ولاية الله إلا بها ، فلو صلى الأنسان وصام ووالى أعداء الله ، فانه لاينال ولاية الله ، قال ابن القيم :
أتحب أعداء الحبيب وتدعي حبا له ما ذاك في إمكان
وهذا لا يقبله حتى الصبيان أن توالي من عاداهم .
وقوله : " ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها " مأخوذة من قول ابن عباس : ولن يجد عبد طعم الإيمان ... " الخ .
السابعة : فهم الصحابى للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدينا .

الصحابى يعني به ابن عباس رضي الله عنهما ، وقوله : " إن عامة المؤاخاة على أمر الدينا " ، هذا في زمنه فكيف بزمننا ؟ !

الثامنة : تفسير قوله **: ﴿ وتقطعت بهم الإسباب ﴾** .

فسرها بالمودة ، وتفسير الصحابى إذا كانت الإية من صيغ العموم تفسير بالمثال ، لأن العبرة في نصوص الكتاب والسنة بعموماتها ، فإذا ذكر فرد من أفراد هذا العموم ، فإنما يقصد به التمثيل ، أي مثل المودة ، لكن حتى الإسباب الأخرى التي يتقربون بها إلى الله وليست بصحيحة ، فإنها تنقطع بهم ولا ينالون منها خيراً .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً .

تؤخذ من **قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخـذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾** ، وهم يحبون الأصنام حباً شديداً ، وتؤخذ من **قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ ،** فأشد : اسم تفضيل يدل على الإشتراك بالمعنى مع الزيادة ، فقد أشتركوا في شدة الحب ، وزاد المؤمنون بكونهم أشد حباً لله من هؤلاء لأصنامهم .

العاشرة : الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه .

الثمانية هي المذكورة **في قوله تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترافتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ﴾ .**

والوعيد في قوله : ﴿ **فتربصوا** ﴾ فأفاد المؤلف رحمه الله تعالى أن الإمر هنا للوعيد .

الحادية عشرة : أن من أتخذ نداً تساوى محبته الله فهو الشرك الأكبر . لقوله تعالى : ﴿ **يحبونهم كحب الله** ﴾ ، ثم بين في سياق الآيات أنهم مشركون شركاً أكبر ، بدليل ما لهم من العذاب .

باب قول الله تعالى
﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياء فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران : 175] .

- **مناسبة الباب لما قبله .**

أن المؤلف رحمه الله أعقب باب المحبة بباب الخوف ، لأن العبادة ترتكز على شيئين : المحبة ، والخوف .

فبالمحبة يكون امتثال الإمر ، وبالخوف يكون اجتناب النهي ، وإن كان تارك المعصية يطلب الوصول إلى الله ، ولكن هذا من لازم ترك المعصية ، وليس هو الأساس .

فلو سألت من لا يزني لماذا ، لقال : خوفاً من الله .

ولو سألت الذي يصلى ؛ لقال : طمعاً في ثواب الله ومحبة له .

وكل منهما ملازم للآخرة ؛ فالخائف والمطيع يريدان النجاة من عذاب الله والوصول إلى رحمته .

وهل الأفضل للإنسان أن يغلب جانب الخوف أو يغلب جانب الرجاء ؟

أختلف في ذلك :

فقيل : ينبغي أن يغلب جانب الخوف ، ليحمله ذلك على اجتناب المعصية ثم فعل الطاعة .

وقيل يغلب جانب الرجاء ، ليكون متفائلا، والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل [1].

وقيل في فعل الطاعة : يغلب جانب الرجاء ، فالذي من عليه بفعل هذه الطاعة سيمن عليه بالقبول ، ولهذا قال بعض السلف : إذا وفقك الله للدعاء ، فانتظر الإجابة ، لأن **الله يقول : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : 60] ،** وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف ، لأجل أن يمنعه منها ثم إذا خاف من العقوبة تاب .

وهذا أقرب شيء ، ولكن ليس بذاك القرب الكامل ؛ لأن **الله يقول : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [المؤمنون : 60] ، أي** : يخافون أن لا يقبل منهم ، لكن قد يقال هذه الآية يعارضها أحاديث أخرى ، كقوله ﷺ في الحديث القدسي عن ربه : " أنه عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني " [1].

وقيل : في حال المرض يغلب جانب الرجاء ، وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف ، فهذه أربعه أقوال .

وقال الإمام أحمد : ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً ؛ فأيهما غلب هلك صاحبه ، أي : يجعلهما كجناحي الطائر ، والجناحان للطائر إذا لم يكونا متساوين سقط .

وخوف الله تعالى درجات ؛ فمن الناس من يغلو في خوفه ، ومنهم من يفرط ، ومنهم من يعتدل في خوفه .

والخوف العدل هو الذي يرد عن محارم الله فقط ، وإن زدت علي هذا؛ فإنه يوصلك إلى اليأس من روح الله .
ومن الناس من يفرط في خوفه بحيث لا يردعه عما نهى الله عنه .
والخوف أقسام :
الأول : خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع ، وهو ما يسمى بخوف السر.
وهذا لا يصلح إلا لله – سبحانه - ، فمن أشرك فيه مع الله غيره ؛ فهو مشرك شركاً أكبر ، وذلك مثل : مَن يخاف من الأصنام أو الأموات ، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم ؛ كما يفعله بعض عباد القبور : يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله .
الثاني : الخوف الطبيعي والجبلي ؛ فهذا في الأصل مباح ، لقوله تعالى عن موسى : فخرج منها خائفاً يترقب ، وقوله عنه أيضاً : رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم ؛ فهو محرم ، وإن استلزم شيئاً مباحاً كان مباحاً ، فمثلاً من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها ؛ فهذا الخوف محرم ، والواجب عليه أن لا يتأثر به .
وإن هدده إنسان على فعل محرم ، فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به ، فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر ، وإن رأى ناراً ثم هرب منها ونجا بنفسه ؛ فهذا خوف مباح ، وقد يكون واجباً إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه .
وهناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف ، مثل أن يرى ظل شجرة تهتز فيظن أن هذا عدو يتهدده ، فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك ، بل يطارد هذه الأوهام لأنه حقيقة لها ، وإذا لم تطاردها ؛ فإنها تهلكك .

مناسبة الخوف للتوحيد : إن من أقسام الخوف ما يكون شركاً منافياً للتوحيد .

* * *

وقد ذكر المؤلف فيه ثلاث آيات :

- أولها ما جعلها ترجمة للباب ، وهي **قوله تعالى : إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه .**

 إنما ذلكم : صيغة حصر والمشار إليه التخويف من المشركين .
 ذلكم : ذا : مبتدأ ، **الشيطان** : يحتمل أن يكون خبر المبتدأ ، وجمله
 يخوف حال من الشيطان .
ويحتمل أن يكون **الشيطان** صفة لـ **ذلكم** ، أو عطف بيان ، و
 يخوف : خبر المبتدأ ، والمعنى : ما هذا التخويف الذي حصل إلا من شيطان يخوف أولياءه .

و **يخوف** تنصب مفعولين ، الأول محذوف تقديره : يخوفكم ، والمفعول الثاني : **أولياءه** .
ومعنى يخوفكم ، أي : يوقع الخوف فى قلوبكم منهم ، **أولياءه** ؛ أي : أنصاره الذين ينصرون الفحشاء والمنكر ؛ لأن الشيطان يأمر بذلك ؛ فكل من نصر الفحشاء والمنكر ؛ فهو من أولياء الشيطان ؛ ثم قد يكون النصر في الشرك وما ينافي التوحيد ، فيكون عظيماً وقد يكون دون ذلك .
وقوله : يخوف أولياءه من ذلك ما وقع في الآية التي قبلها ، حيث قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم [أل عمران : 173] ، وذلك ليصدهم عن واجب من واجبات الدين ، وهو الجهاد ، فيخوفونهم بذلك ، وكذلك ما يحصل في نفس من أراد أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر ، فيخوفه الشيطان ليصده عن هذا العمل ، وكذلك ما يقع في قلب الداعية .
والحاصل : أن الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب ، فإذا ألقى الشيطان في نفسك الخوف ؛ فالواجب عليك أن تعلم أن الإقدام على كلمة الحق ليس هو الذي يدنى الإجل ، وليس السكوت والجبن هو الذي يبعد الأجل ؛ فكم من داعية صدع بالحق وما على فراشه ؟ ! وكم من جبان قتل في بيته ؟ !
وانظر إلى خالد بن الوليد ، كان شجاعاً مقداماً ومات على فراشه ، وما دام الإنسان قائماً بأمر الله ؛ فليثق بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وحزب الله هم الغالبون .
قوله : فلا تخافوهم . لا ناهية ، والهاء ضمير يعود على أولياء الشيطان ، وهذا النهي للتحريم بلا شك ؛ أي : بل أمضوا فيما أمرتكم به وفيما أوجبته عليكم من الجهاد ، ولا تخافوا هؤلاء ، وإذا كان الله مع الإنسان ، فإنه لا يغلبه أحد ، لكن نحتاج في الحقيقة إلى صدق النية والإخلاص والتوكل التام ، ولهذا **قال تعالى : إن كنتم مؤمنين ،** وعلم من هذه الآية أن للشيطان وساوس يلقيها في قلب ابن أدم منها التخويف من أعدائه ، وهذا ما وقع فيه كثير من الناس ، وهو الخوف من أعداء الله فكانوا فريسة لهم ، وإلا لو اتكلوا على الله وخافوه قبل كل شيء لخافهم الناس ، ولهذا قيل في المثل : مَن خاف الله خافه كل شيء ، ومن اتقى الله أتقاه كل شيء ، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء .
ويفهم من الآية أن الخوف من الشيطان وأوليائة مناف للإيمان ، فإن كان الخوف يؤدي إلى الشرك ، فهو مناف لأصله ، وإلا ، فهو مناف لكماله .

وقوله : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين [التوبة : 18] .

- **الآية الثانية قوله تعالى : إنما يعمر** .

 إنما : أداة حصر ، والمراد بالعمارة العمارة المعنوية ، وهي عمارتها بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ونحوها ، وكذلك الحسية

بالبناء الحسي ؛ فإن عمارتها به حقيقة لا تكون إلا ممن ذكرهم الله ؛ لأن من يعمرها وهو لم يؤمن بالله واليوم الآخر لم يعمرها حقيقة ؛ لعدم انتفاعه بهذه العمارة ؛ فالعمارة النافعة الحسية والمعنوية من الذين آمنوا بالله واليوم الأخر ، ولهذا لما أفتخر المشركون بعمارة المسجد الحرام ، **قال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر ﴾ ،** وأضاف سبحانه المساجد إلى نفسه تشريفاً ؛ لآنها موضوع عبادته .

قوله : ﴿ من أمن بالله ﴾ . ﴿ من ﴾ : فاعل يعمر ، والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور ، وهى :

الإيمان بوجوده ، وربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه وصفاته .

واليوم الآخر : هو يوم القيامة ، وسمي بذلك ، لأنه لا يوم بعده .

قال شيخ الإسلام : ويدخل في الإيمان بالله واليوم الآخر كل ما أخبر به ﷺ مما يكون بعد الموت مثل فتنة القبر وعذابه ونعيمه .

لأن حقيقة الأمر أن الإنسان إذا مات قامت قيامته وارتحل إلى دار الجزاء .

ويقرن الله الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر كثيراً ؛ لأن الإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان إلى الامتثال ، فإنه إذا آمن أن هناك بعثاً وجزاءً ؛ حمله ذلك على العمل لذلك اليوم ، ولكن من لا يؤمن باليوم الإخر لا يعمل ؛ إذ كيف يعمل لشيء وهو لا يؤمن به ؟ !

قوله : ﴿ وأقام الصلاة﴾ . أي : أتى بها على وجه قويم لا نقص فيه ، ***<u>والإقامة نوعان :</u>***

إقامة واجبة ، وهي التي يقتصر فيها على فعل الواجب من الشروط والأركان والواجبات .

وإقامة مستحبة : وهي التي يزيد فيها على فعل ما يجب فيأتيى بالواجب والمستحب .

قوله : ﴿ وآتى الزكاة ﴾ . ﴿ آتى ﴾ تنصب مفعولين :

الأول هنا الزكاة ، **والثاني :** محذوف : تقديره مستحقيها .

والزكاة : هي المال الذي أوجبه الشارع في الأموال الزكوية وتختلف مقاديرها حسب ما تقتضيه حكمة الله – عز وجل -.

قوله : ﴿ ولم يخش إلا الله ﴾ . في هذه الآية حصر طريقة الإثبات والنفي . **﴿ لم يخش ﴾** نفي : **﴿ إلا الله ﴾** إثبات ، والمعنى : أن خشيته انحصرت في الله – عز وجل - ؛ فلا يخشى غيره .

<u>والخشية نوع من الخوف ، لكنها أخص منه ، والفرق بينهما :</u>

1 – أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله ، **لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : 28] ،** والخوف قد يكون من الجاهل .

2 – أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي ، بخلاف الخوف ، فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف .

قوله : ﴿ فعسى أولئك أن يكون من المهتدين ﴾ . قال ابن عباس **: " عسى من الله واجبة "** [1]، وجاءت بصيغة الترجي ، لئلا يأخذ الإنسان الغرور بأنه حصل على هذا الوصف ، وهذا كقوله

تعالى : ﴿ **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً** ﴾ **[النساء : 98-99]** ، فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها ؛ فالذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً جديرون بالعفو .

الشاهد من الآية : قوله : ﴿ ولم يخش إلا الله ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ [المائدة : 44] ، ومن علامات صدق الإيمان أن لا يخشى إلا الله في كل ما يقول ويفعل .

ومن أراد أن يصحح هذا المسير ، **فليتأمل قول الرسول** ﷺ :

(1)

الشاهد من الآية : قوله : ﴿ فإذا أوذي في الله فتنة الناس كعذاب الله ﴾ ؛ فخاف الناس مثل خوف الله تعالى .

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمَدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره " [1].

قوله في حديث أبي سعيد : " إن من ضعف اليقين " . "من" . للتبعيض ، والضعف ضد القوة ، ويقال : ضعف بفتح الضاد ، أو ضعف بضم الضاد ، وكلاهما بمعنى واحد ، أي : من علامة ضعف اليقين .

قوله : " أن ترضي الناس " . " أن ترضي " : اسم إن مؤخراً ، و" من ضعف اليقين " خبرها مقدماً ، والتقدير : إن إرضاء الناس بسخط الله من ضعف اليقين .

قوله : " بسخط الله " . الباء للعوض ، يعني : أي تجعل عوض إرضاء الناس سخط الله ، فتستبدل هذا ، بهذا؛ من ضعف اليقين .

واليقين أعلى درجات الإيمان ، وقد يراد به العلم ، كما تقول : تيقنت هذا الشيء، أي : علمته يقيناً لا يعتريه الشك ، فمن ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ؛ إذ إنك خفت الناس أكثر مما تخاف الله ، وهذا مما أبتليت به الأمة الإسلامية اليوم ؛ فتجد الإنسان يجيء إلى شخص فيمدحه ، وقد يكون خالياً من هذا المدح ، ولا يبين ما فيه من عيوب ، وهذا من النفاق وليس من النصح والمحبة ، بل النصح أن تبين له عيوبه ليتلافاها ويحترز منها ، ولا بأس أن تذكر له محامده تشجيعاً إذا أمن في ذلك من الغرور

قوله : " وأن تحمدهم على رزق الله" . الحمد : وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم .

ولكنه هنا ليس بشرط المحبة والتعظيم ، لأنه يشمل المدح .

و" رزق الله " : عطاء الله ، أي : إذا أعطوك شيئاً حمدتهم ونسيت المسبِّب وهو الله ، والمعنى : أن تجعل الحمد كله لهم متناسياً بذلك المسبب ، وهو الله ، فالذي أعطاك سبب فقط ، والمعطي هو الله ، ولهذا قال النبي ﷺ : " [illegible] " [1] .

وقوله : " رضا الله " . أي : أسباب رضاه ، **وقوله : " بسخط الناس "** : الباء للعوَض ؛ أي طلب ما يرضي الله ولو سخط الناس به بدلا من هذا الرضا وجواب الشرط : " رضي الله عنه وأرضى عنه الناس " .

وقوله : " رضي الله عنه وأرضى عنه الناس " . هذا ظاهر ، فإذا التمس العبد رضا ربه بنية صادقة رضي الله عنه ؛ لأنه أكرم من عبده ، وأرضى عنه الناس ، وذلك بما يلقي في قلوبهم من الرضا عنه ومحبته ؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

قوله : " ومن التمس رضا الناس بسخط الله " . " التمس " : طلب ، أي : طلب ما يرضى الناس ، ولو كان يسخط الله ، فنتيجة ذلك أن يعامل بنقيض قصده ، لهذا قال : " سخط الله عليه وأسخط عليه الناس " ، فألقى في قلوبهم سخطه وكراهيته .

- ***<u>مناسبة الحديث للترجمة :</u>***

قوله : " ومن التمس رضا الناس بسخط الله " ؛ أي خوفاً منهم حتى يرضوا عنه ، فقدم خوفهم على مخافة الله تعالى .

<u>فيستفاد من الحديث ما يلي :</u>

1- وجوب طلب ما يرضي الله وإن سخط الناس ؛ لأن الله هو الذي ينفع ويضر .
2- أنه لا يجوز أن يلتمس ما يسخط الله من أجل إرضاء الناس كائناً من كان .
3- إثبات الرضا والسخط لله على وجه الحقيقة ، لكن بلا مماثلة للمخلوقين ؛ **لقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾** ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ، وأما أهل التعطيل ؛ فأنكروا حقيقة ذلك ، قالوا : لأن الغضب غليان دم القلب لطلب الإنتقام ، وهذا لا يليق بالله ، وهذا خطأ ؛ لأنهم قاسوا سخط الله أو غضبه بغضب المخلوق ، فنرد عليهم بأمرين : بالمنع ، ثم النقض :

فالمنع : أن نمنع أن يكون معنى الغضب المضاف إلى الله – عز وجل – كغضب المخلوقين .

والنقص : فنقول للأشاعرة : أنتم أثبتم لله – عز وجل – الإرادة ، وهى ميل النفس إلى جلب منفعه أو دفع مضرة ، والرب عز وجل لا يليق به ذلك ، فإذا قالوا : هذه إرادة المخلوق . نقول : والغضب الذي ذكرتم هو غضب المخلوق .

وكل إنسان أبطل ظواهر النصوص بأقيسة عقلية ، **فهذه الأقيسة باطلة لوجوه** :

الأولى : أنها تبطل دلالة النصوص ، وهذا يقتضي أن تكون هي الحق ، ومدلول النصوص باطل ، وهذا ممتنع .

الثاني : أنه تقول على الله بغير علم ؛ لأن الذي يبطل ظاهر النص يُؤوِّله إلى معنى آخر ؛ فيقال له : ما الذي أدراك أن الله أراد هذا المعنى دون ظاهر النص ؟ ففيه تقول على الله في النفي والإثبات في نفي الظاهر ، وفي إثبات ما لم يدل عليه دليل .

الثالث : أن فيه جناية على النصوص ، حيث أعتقد أنها دالة على التشبيه ، لأنه لم يعطل إلا لهذا السبب ، فيكون ما فهم من كتاب الله وسنة رسوله [illegible]

[illegible]

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران . الثانية : تفسير آية براءة . الثالثة . تفسير آية العنكبوت . الرابعة : أن اليقين يَضّعف ويقوى . الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث .السادسة : إن إخلاص الخوف لله من الفرائض . السابعة : ذكر ثواب من فعله . الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

فيه مسائل :

الأولى: تفسير آية أل عمران . وهي قوله تعالى : إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ، وسبق .

الثانية : تفسير أية براءة . وهي قوله تعالى : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الإخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، وسبق .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت . وهي قوله تعالى : ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، وقد تكلمنا على تفسيرها فيما سبق **الرابعة :** أن اليقين

يضعف ويقوى : تؤخذ من الحديث : " إن من ضعف اليقين ..." الحديث .
الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه ثلاث . وهي : أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله .
السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض . وتؤخذ من قوله في الحديث : " من التمس .... " الحديث ، ووجهه ترتيب العقوبة على من قدم رضا الناس على رضا الله تعالى .
السابعة : ذكر ثواب من فعله . وهو رضا الله عنه ، وأنه يرضي عنه الناس ، وهو العاقبة الحميدة .
الثامنة : ذكر عقاب من تركه . وهو أن يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس ، ولا ينال مقصوده .
وخلاصة الباب :
أنه يجب على المرء أن يجعل الخوف من الله فوق كل خوف ، وأن لا يبالي بأحد في شريعة الله تعالى ، وأن يعلم أن من التمس رضا الله تعالى وإن سخط الناس عليه ؛ فالعاقبة له ، وإن التمس رضا الناس وتعلق بهم وأسخط الله ؛ أنقلبت عليه الأحوال ، ولم ينل مقصوده بل حصل له عكس مقصوده ، وهو أن يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس .

***

باب قول الله تعالى :
﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [المائدة : 23] .

مناسبة هذا الباب لما قبله :
هي أن الإنسان إذا أفرد الله – سبحانه – بالتوكل ، فإنه يعتمد عليه في حصول مطلوبه **وزوال مكروهه ، ولا يعتمد على غيره.**
والتوكل : هو الإعتماد على الله – سبحانه وتعالى – في حصول المطلوب ، ودفع المكروه ، مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها ، وهذا أقرب تعريف له ، ولابد من أمرين :
الأول : أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقاً حقيقياً .
الثاني : فعل الأسباب المأذون فيها .
فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب ، نقص توكله على الله ، ويكون قادحاً في كفاية الله ، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه .
ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب ، فقد طعن في حكمة الله ، لأن الله جعل لكل شيء سبباً ، فمن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً ، كان قادحاً في حكمة الله ، لأن الله حكيم ، يربط الإسباب بمسبباتها ، كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج .
والنبي [illegible]
[illegible] [1] [illegible]
[illegible] [2] [illegible]
[illegible] .

[illegible]

[illegible] : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ [[illegible] : 5] [illegible] .

[illegible] : ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾ [[illegible] : 123] [illegible] : ﴿ **عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ [[illegible] : 88] [illegible] .

والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توكل عبادة وخضوع ، وهو الإعتماد المطلق على من توكل عليه ، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر ، فيعتمد عليه اعتماداً كاملاً ، مع شعوره بافتقاره إليه ، فهذا يجب إخلاصه لله تعالى ، ومن صرفه لغير الله ، فهو مشركاً أكبر ، كالذين يعتمدون على الصالحين من الأموات والغائبين ، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون ، فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار .

الثاني : الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك ، وهذا من الشرك الأصغر ، وقال بعضهم : من الشرك الخفي ، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه ، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار ، فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر ، فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب ، بل جعله فوق السبب .

الثالث : أن يعتمد على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه ، كما لو وكلت شخصاً في بيع شيء أو شرائه ، وهذا لا شيء فيه ، لأنه أعتمد عليه وهو يشعر أن المنزلة العليا فوقه ، لأنه جعله نائباً عنه ، وقد وكل النبي ﷺ [illegible][1] [illegible][2] [illegible][3] [illegible] .

[illegible] : " [illegible] " [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] .

***

وقد ذكر المؤلف في هذا الباب أربع آيات ، أولها ما جعله ترجمة للباب ، وهي :

قوله تعالى : ﴿ **وعلي الله فتوكلوا** ﴾ . ﴿ **على الله** ﴾ **متعلقة** : ﴿ **توكلوا**﴾ **، وتقديم** المفعول يدل على الحصر ، أي : على الله لا على غيره ، ﴿ **فتوكلوا** ﴾ ، أي : اعتمدوا .

والفاء لتحسين اللفظ وليست عاطفة ، لأن في الجملة حرف عطف وهو الواو ، ولا يمكن أن نعطف الجملة بعاطفين ، فتكون لتحسين اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ **بل الله فاعبد** ﴾ **،** والتقدير : " **بل الله أعبد** " .

قوله : ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾. ﴿ **إن** ﴾ : شرطية ، وفعل الشرط ﴿ **كنتم** ﴾ ، وجوابه قيل : إنه محذوف دل عليه ما قبله ، وتقدير الكلام : إن كنتم مؤمنين فتوكلوا ، وقيل : إنه في مثل هذا التركيب لا يحتاج إلى جواب اكتفاء بما سبق ، فيكون ما سبق كأنه فعل معلق بهذا الشيء ، وهذا أرجح ، لأن الأصل عدم الحذف .

وقول أصحاب موسى في هذه الآية يفيد أن التوكل من الإيمان ومن مقتضياته ، كما لو **قلت** : إن كنت كريماً فأكرم الضيف . فيقتضي أن إكرام الضيف من الكرم. وهذه الآية تقتضي انتفاء كمال الإيمان بانتفاء التوكل على الله إلا إن حصل اعتماد كلي على غير الله فهو شرك أكبر ينتفي الإيمان كله.

وقوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ [الأنفال : 2] الآية.

- الآية الثانية قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون** ﴾. ﴿ **إنما** ﴾ : أداة حصر ، والحصر هو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما عداه ، والمعنى : ما المؤمنون إلا هؤلاء .

وذكر الله في هذه الآية وما بعدها خمسة أوصاف :

أحدها : قوله ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ ، أي : خافت لما فيها من تعظيم الله تعالى ، مثال ذلك : رجل هم بمعصية ، فذكر الله أو ذُكر به ، وقيل هل : اتق الله . فإن كان مؤمناً ، فإنه سيخاف ، وهذا هو علامة الإيمان .

الوصف الثاني : قوله : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناُ** ﴾ ، أي تصديقاً وامتثالا ، وفي هذا دليل على أن الإنسان قد ينتفع بقراءة غيره أكثر مما ينتفع بقراءة نفسه كما أمر الرسول [illegible] : " [illegible] " : [illegible] " . [illegible] : " **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ [[illegible] : 41] [illegible] : " **حسبك** " . [illegible] [1].

الوصف الثالث : [illegible] ﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [illegible] .

الوصف الرابع : [illegible] : ﴿ **الذين يقيمون الصلاة** ﴾ [illegible] .

الوصف الخامس : [illegible] : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ . [illegible]

[illegible]

وقوله : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ....﴾ [الأنفال : 64] الآية .

وقوله : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : 3] الآية.

* * *

[illegible]

[illegible] [81 : [illegible]] [illegible]

[illegible] [89 : [illegible]] [illegible]

[illegible] (-5/291 [illegible]) [illegible]

• [illegible]

[illegible]

***

(1)

(1) البخاري : كتاب الجهاد / باب الحرب خدعة ، ومسلم : كتاب الجهاد / باب جواز الخداع في الحرب .

[1] الإمام أحمد في " مسنده " (4/11، 12) ، وابن ماجة (المقدمة ، 1/64) ، ابن أب عاصم في " السنة " (554) ، والآجري في " الشريعة " (ص95) قال الشيخ الإسلام ابن تيميه : " حديث حسن " (الوسطية " ، ص 13) .

[illegible]

[illegible] (4) .

قوله : في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : " أن رسول الله [illegible]

[illegible] [31 : [illegible]] [illegible] [32 : [illegible]] [illegible]

[illegible] (1) [illegible] (2) [illegible] (3) [illegible]

[illegible] (4) [illegible]

---

(1) البخاري : كتاب المغازي / باب قوله تعالى : (إذا تستغيثون ربكم ..) ، ومسلم : كتاب الجهاد /باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

(2) البخاري : كتاب المغازي / باب غزوة الخندق ، ومسلم : كتاب الجهاد / باب استحباب الدعاء بالنصر .

(3) بالبخاري : كتاب الأنبياء / باب حديث الغار ، ومسلم كتاب الذكر والدعاء /باب قصة أصحاب الغار.

(4) البراز كما في " كشف الأستار " (106) ، وابن أبي حاتم في " التفسير " كما في " الدر المنشور " (2/148) ، وقال : " إسناده حسن" .
وقال الثيثمي (1/104) : " رواء البزار والطيرني ، ورجاله موثقون " .

(1) مسلم : كتاب الطهارة / باب الصلوات الخمس ..

(2) البخاري : كتاب العمرة / باب وجوب العمرة وفضلها ، ومسلم : كتاب الحج / باب فضل الحج والعمرة .

(3) مسلم : كتاب الطهارة / باب فضل الوضوء .

(4) تقدم (ص606)

[illegible] : " [illegible] " . [illegible] :

﴿ [illegible] * [illegible] ﴾ [[illegible] : 182 -183] .

[illegible]

[illegible] (1).

[illegible]

***

- [illegible] :

[illegible]

[illegible] :

- [illegible] : تفسير آية الأعراف . وهي قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ ، وقد سبق تفسيرها .
- [illegible] : تفسير آية الحجر . وهي قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ ، وقد سبق تفسيرها .
- [illegible] : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله . وذلك بأنه من أكبر الكبائر ، كما في الآية والحديث ، وتؤخذ من الآية الأولى ، والحديثين .
- [illegible] : شدة الوعيد في القنوط ، تؤخذ من الآية الثانية والحديثين .

[illegible]

" **الصبر** " . في اللغة : الحبس ، ومنه قولهم : " **قتل صبراً** " ، أي : محبوساً مأسوراً .

وفي الاصطلاح : حبس النفس على أشياء وعن أشياء ، وهو ثلاثة أقسام :

الأول : الصبر على طاعة الله ، كما قال تعالى : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ [طه : 132] وقال تعالى : ﴿ **إنا نحن**

---

(1) عبد الرزاق في " المصنف " (10/ 459) ، وابن جرير (5/26) ، والطبراني في " الكبير " (5783) .

نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فأصبر لحكم ربك ﴾ [الإنسان : 23-24] ، وهذا من الصبر على الأوامر ، لأنه إنما نزل عليه القرآن ليبلغه ، فيكون مأموراً بالصبر على الطاعة ، وقال تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ [الكهف : 28] ، وهذا صبر على طاعة الله .

الثاني : الصبر عن معصية الله ، كصبر يوسف عليه السلام عن إجابة امرأة العزيز حيث دعته إلى نفسها في مكانة لها فيها العزة والقوة والسلطان عليه ، ومع ذلك صبر وقال : ﴿ **رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين** ﴾ [يوسف : 33] ، فهذا صبر عن معصية الله .

الثالث : الصبر على أقدار الله ، قال تعالى : ﴿ **فاصبر لحكم ربك** ﴾ [الإنسان : 24] ، فيدخل في هذه الآية حكم الله القدري ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم **من الرسل ولا تستعجل لهم** ﴾ [الأحقاف : 35] ، لأن هذا صبر على تبليغ الرسالة وعلى أذى قومه، ومنه قوله ﷺ : " **مرها ، فلتصبر ولتحتسب** "[1] .

: " **على أقدار الله** " .

مثال ذلك :

---

(1) البخاري : كتاب الجنائز /باب قول النبي ﷺ : " ... " .

فلذالك نرضى بالقضاء ونسخط ال مقضي حين يكون بالعصيان

[illegible] .

وقول الله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [التغابن : 11] .

قال علقمة : " هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضي ويسلم " .

[illegible] " [1].

***

قوله : " [illegible] " . هو م أكابر التابعين .

قوله : " [illegible] .. " إلخ . وتفسير علقمة هذا من لازم الإيمان ، لأن من آمن بالله علم أن التقدير من الله ، فيرضى ويسلم ، فإذا علم أن المصيبة من الله اطمأن القلب وارتاح ، ولهذا كان من أكبر الراحة والطمأنينة الإيمان بالقضاء والقدر .

***

[illegible] " [1]

قوله في حديث أبي هريرة : " [illegible] " . مبتدأ ، وسوغ الابتداء به التقسيم ، أو أنه مفيد للخصوص .

قوله : " [illegible] " : الباء يحتمل أن تكون بمعنى " [illegible] " ، أي : هما منهم كفر ، ويحتمل أن تكون بمعنى " في " أي : هما فيهم كفر .

قوله : " [illegible] " . [illegible] : هاتان الخصلتان كفر ولا يلزم من وجود خصلتين من الكفر في المؤمن أن يكون كافراً ، كما لا يلزم من وجود خصلتين في الكافر من خصال الإيمان ، كالحياء ، والشجاعة ، والكرم ، أن يكون مؤمناً .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمة الله : ([illegible] ﷺ : " [illegible] " فإنه هنا أتى بأل الدالة على الحقيقة ، [illegible] بالكفر هنا الكفر المخرج عن الملة ، بخلاف مجيء " [illegible] " نكرة ، فلا يدل على الخروج عن الإسلام .

قوله : " [illegible] " . أي : العيب فيه أو نفيه ، فهذا عمل من أعمال الكفر .

---

[1] البخاري : كتاب الإيمان / باب فضل من استيرا لدينه ، ومسلم : كتاب المساقاة / باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

[1] تقدم (ص 574)

قوله : " [illegible] " . أي : أن يبكي الإنسان على الميت بكاء على صفة نوح الحمام ، لأن هذا يدل على التضجر وعدم الصبر ، فهو مناف للصبر الواجب ، و[illegible] . [illegible] :

[illegible] : السخط ، وهو إما أن يكون بالقلب كأن يسخط على ربه ويغضب على قدر الله عليه ، وقد يؤدى إلى الكفر ، قال تعالى : [illegible] [الحج : 11] ، وقد يكون باللسان ، كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك ، وقد يكون بالجوارح ، كلطم الخدود ، وشق الجيوب ، ونتف الشعور ، و أشبه ذلك .

الثانية : الصبر ، وهو كما قال الشاعر :

الصبر مثل اسمه مر مذ أقته لكن عواقبه أحلى من العسل

فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقيل عليه ويكرهه ، لكنه يتحمله ويتصبر ، وليس وقوعه وعدمه سواء عنده ، بل يكره هذا ولكن إيمانه يحميه من السخط .

الثالثة : الرضا ، وهو أعلى من ذلك ، وهو أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله وقدرة وإن كان قد يحزن من المصيبة ، لأنه رجل يسبح في القضاء والقدر ، أينما ينزل به القضاء والقدر فهو نازل به على سهل أو جبل ، إن أصيب بنعمه أو أصيب بضدها ، فالكل عنده سواء ، لا لأن قلبه ميت ، بل لتمام رضاء ربه – سبحانه وتعالى – يتقلب في تصرفات الرب – عز وجل - ، ولكنها عنده سواء ، إذ إنه ينظر إليها باعتبارها قضاء لربه ، وهذا الفرق بين الرضا والصبر .

الرابعة : الشكر ، وهو أعلى المراتب ، وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة ، وذلك يكون في عباد الله الشاكرين حين يرى أن هناك مصائب أعظم منها ، وأن مصائب الدنيا أهون من مصائب الدين ، وأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وأن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته وربما لزيادة حسناته شكر الله على ذلك ، قال النبي [illegible] : " [illegible] " [1].

[illegible] .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : " ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية " [2].

قوله في حديث ابن مسعود : " **مرفوعاً** " . [illegible] .

[illegible] : " **من ضرب الخدود** " . [illegible] .

[illegible] : " **ومن شق الجيوب** " . [illegible] .

---

[1] البخاري : كتاب المناقب / باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ، ومسلم : كتاب الإيمان /باب تحريم ضرب الخد وج ...

[2] البخاري : كتاب المرضي / باب كفارة المرض ، ومسلم : كتاب البر والصلة / باب ثواب المؤمن .

[illegible] : " **ودعا بدعوى الجاهلية** " . [illegible]
[illegible] **أمران** :

الأول : [illegible] (**دعوى الجاهلية**) [illegible] .

الثاني : [illegible]
[illegible] **مثل** [illegible] : [illegible] ! [illegible] !
[illegible]
[illegible] .
[illegible]
[illegible] .
[illegible] .
[illegible]
[illegible].

وعن أنس ، أن رسول الله قال : " إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه ، حتى يوافي به يوم القيامة " [1].

قوله في حديث أنس : " إذا أراد الله بعبده الخير " . الله يريد بعبده الخير والشر ولكن الشر المراد لله تعالى ليس مراداً لذاته بدليل قول النبي ﷺ :

" **والشر ليس إليك** " [2] [illegible]
[illegible] .

[illegible] : " **عجل له بالعقوبة في الدنيا** " . [illegible] : [illegible]
[illegible] .

وقوله : " **عجل له العقوبة في الدنيا** " . [illegible]
[illegible] : " [illegible] " [1].
[illegible]
[illegible] : (**ولعذاب الآخرة أشد وأبقي**) [[illegible] : 127] .

والعقوبة أنواع كثيرة :

منها : [illegible]
[illegible] : (**فإن تولوا فأعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم**) [[illegible] : 49] .
[illegible] .
[illegible] .
[illegible] : [illegible] .

---

[1] الترمذي : كتاب الزهد / باب ما جاء في الصبر على البلاء ، والحاكم في " المستدرك " (4 / 651) ، والبيهقي في " الأسماء والصفات " (ص 154) ، والبغوي في " شرح السنة " (5/ 245) .

[2] مسلم : كتاب الصلاة المسافرين / باب الدعاء في صلاة الليل .

[1] أخرجه البخاري ومسلم .

[illegible] : " **وإذا أراد بعبده الشر ، أمسك عنه بذنبه " . " أمسك عنه "** [illegible]

[illegible]

1- [illegible] [[illegible] : 6].

2- [illegible] [[illegible] : 51] .

3- [illegible] [[illegible] : 47] [illegible]

[illegible] [1] [illegible]

[illegible] : " [illegible] " [2].

[illegible]

[illegible] :

1- [illegible]

2- [illegible]

[illegible] : " [illegible] " [1].

[illegible]

---

[1] البخاري : كتاب المرضي / باب أشد الناس بلاء الأنبياء ، ومسلم كتاب البر والصلة /باب ثواب المؤمن.

[2] البخاري : كتاب المغازى / باب مرض النبي ﷺ .

[1] الترمذي : كتاب الزهد / باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وابن ماجة : كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء .

(1) البخاري : كتاب الجماعة والإمامة /باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، ومسلم : كتاب الزكاة / باب إخفاء الصدقة .

- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] .[illegible].
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] : [illegible] : " [illegible] " [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] : " **[illegible]** " .

باب ما جاء في الرياء

المؤلف رحمه الله تعالى أطلق الترجمة ، فلم يفصح بحكمه لأجل أن يحكم الإنسان بنفسه على الرياء على ما جاء فيه .

- **تعريف الرياء :**

مصدر راءي يرائي ، أي : عمل ليراه الناس ، ويقال مراءاة كما يقال : جاهد جهاداً ومجاهدة ، ويدخل في ذلك من عمل ليسمعه الناس ويقال له مسمع ، وفي الحديث عن النبي ﷺ [illegible] " [illegible] "[1].

[illegible]

[illegible : 143].

[illegible]

---

[1] البخاري : كتاب الرقاق / باب الرياء والسمع ، ومسلم : كتاب الزهد / باب تحريم الرياء .

[1] البخاري : كتاب العنق / باب الخطأ والنسيان ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب تجاوز الله عن حديث النفس.

[illegible] [[illegible] : 264] .

[illegible] " (2)

وقول الله تعالى : ([illegible]) [الكهف : 110] .

قوله تعالى : ([illegible]) . يأمر الله نبيه أن يقول للناس : إنما أنا بشر مثلكم ، وهو قصر النبي [illegible]

[illegible] [[illegible] : 11] .

[illegible] [[illegible] : 110] .

[illegible] [[illegible] : 6] [illegible] [[illegible] : 7] [illegible] [[illegible] : 10] .

[illegible]

---

(2) الأمام أحمد في " المسند " (1/18، 26) ، والترمذي (كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة) ، والحم وصححه ووافقه الذهبي (1/125) ، وصححه أحمد شاكر (114) .

[illegible] : [illegible] : " [illegible] [illegible] "[1].

[illegible] : [illegible] : " [illegible] "[2]

[illegible] : هذان الحديثان ميزان الأعمال ، [illegible] : ميزان الأعمال الباطنة . [illegible] : ميزان الأعمال الظاهرة .

قوله : ([illegible]) . لا: ناهية والمراد بالنهي الإرشاد .

قوله : ([illegible]) . خص العبادة لأنها خالص حق الله ، ولذلك أتى بكلمة " [illegible] " إشارة إلى العلة ، فكما أن ربك خلقك ولا يشاركه أحد في خلقك ، فيجب أن تكون العبادة له وحده ، ولذلك لم يقل : ([illegible]) ، فذكر الرب من باب التعليل ، كقوله تعالى : ([illegible]).

وقوله ([illegible]) نكرة في سياق النهي ، فتكون عامة لكل أحد .

[illegible] : أن الرياء من الشرك ، فيكون داخلاً في النهي عنه.

وفي هذه الآية دليل على ملاقاة الله تعالى ، وقد استدل بها بعض أهل العلم على ثبوت رؤية الله ، لأن الملاقاة معناها المواجهة .

وفيها دليل على أن الرسول [illegible] .

[illegible] : " [illegible] "[3].

[illegible] : " [illegible] " . [illegible] .

[illegible] : " [illegible] " . [illegible] " [illegible] " . [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] ! [illegible] : ([illegible]) [[illegible] : 13] [illegible] ! [illegible] .

---

[1] بالبخاري : كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي ، ومسلم : كتاب الإمارة / باب إنما الأعمال بالنيات .

[2] باليخاري : كتاب البيوع / باب النجش ، ومسلم : كتاب الأقضية /باب نقص الآحكام .

[3] مسلم : كتاب الزهد / باب من أشرك في عمله غير الله .

[1] الإمام أحمد (3/ 30) ، وابن ماجة : كتاب الزهد / باب الرياء والسمعة ، والحاكم (4/ 329) وصححه.

[2] البخاري : كتاب الرفاق / باب صفة الجنة والنار .

[3] البخاري : كتاب المغازي / باب حجة الوداع ، ومسلم : كتاب الفتن / باب ذكر الدجال .

[1] البخاري : كتاب بدء الخلق / باب صفة النار ، ومسلم : كتاب الزهد / باب عقوبة من يأمر بمعروف ولا يفعله .

[illegible] : [illegible] . [illegible] : [illegible]
[illegible] : [illegible] . [illegible]
[illegible] . [illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible]
[illegible] .

[illegible] :

- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] .
- **[illegible] : " [illegible] "** [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] — [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] : [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] **: [illegible] " [illegible] "** . [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .
- [illegible] .

***

[illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible]

- **[illegible]** :

-1 [illegible]

-2 [illegible]

-3 [illegible]

-4 [illegible]

[illegible]

- **[illegible]** :

[illegible] [2 3 : [illegible]] [illegible]

[illegible]

[1] البخاري : كتاب اللياس / باب ما كان النبي

اقتصر المؤلف رحمه الله على الإشـــــــارة إلى تكميل الآية الأولى ، وزدنا الآية التالية سهواً وعسى أن يكون خيراً .

[1] البخاري : كتاب الرقاق / باب ما يتقى من فتنة المال .

وإذا شيك فلا أنتقش " . أي : إذا أصابته شوكة ، فلا يستطيع
أن يزيل ما يؤذيه عن نفسه .
وهذه الجمل الثلاث يحتمل خبراً منه

[illegible]

قوله : " [illegible] " أي: رأسه أشعت من الغبار في سبيل الله ، فهو لا يهتم بحاله ولا بدنه مادام هذا الآمر ناتجاً عن طاعة الله عز وجل وقدماه مغبرة في السير في سبيل الله ، وهذا دليل على أن أهم شيء عنده هو الجهاد في سبيل الله ، أما أن يكون شعره أو ثوبه أو فراشه نظيفاً ، فليس له هم فيه .

قوله : " [illegible] " . الحراسة والساقة ليست من مقدم الجيش ، فالحراسة أن يحرس الإنسان الجيش ، والساقة أن يكون في مؤخرته [illegible] :

[illegible] : أنه لا يبالي أين وضع ، إن قيل له : أحرس ، حرس ، وإن قيل له : كن في الساقة ، كان فيها ، فلا يطلب مرتبة أعلى من هذا المحل كمقدم الجيش مثلاً .

[illegible] : إن كان في الحراسة أدي حقها ، وكذا إن كان في الساقة ، والحديث الصالح لمعنيين ، يحمل عليهما جميعاً إذا لم يكن بينهما تعارض ، ولا تعارض هنا .

قوله :" [illegible] " . [illegible] : هو عند الناس ليس له جاه ولا شرف ، حتى إنه إن استأذن لم يؤذن له ، وهكذا عند أهل السلطة ليس له مرتبه ، فإن شفع لم يُشَفّع، ولكنه وجيه عند الله وله المنزلة العالية ، لأنه يقاتل في سبيله .

[illegible] : هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .

[illegible] : طلب الإذن بالشيء .

[illegible] :

[illegible] : ليس له هم إلا الدنيا ، إما لتحصيل المال ، أو لتجميل الحال ، فقد استبعدت قلبه حتى أشغلته عن ذكر الله وعبادته .

[illegible] : أكبر همه الآخرة ، فهو يسعى لها في أعلى ما يكون مشقة وهو الجهاد في سبيل الله ، ومع ذلك أدى ما يجب عليه من جميع الوجوه .

[illegible] :

1- أن الناس قسمان كما سبق .

2- أن الذي ليس له هم إلا الدنيا قد تنقلب عليه الأمور ، ولا يستطيع الخلاص من أدنى أذية وهى الشوكة ، بخلاف الحازم الذي لا تهمه الدنيا ، بل أراد أذية وهي الشوكة ، بخلاف الحازم الذي لا تهمه الدنيا ، وقنع بما قدره الله له .

3- أنه ينبغي لمن جاهد في سبيل الله ألا تكون همه المراتب ، بل يكون همه القيام بما يجب عليه ، إما في الحراسة ، أو الساقة ، أو القلب ، أو الجنب ، حسب المصلحة .

4- أن دنو الإنسان عند الناس لا يستلزم منه دنو مرتبته عند الله عز وجل ، فهذا الرجل الذي إن شفع لم يشفّع وإن استأذن لم يؤذن له قال فيه الرسول ﷺ : [illegible]

[illegible]

- [illegible]

[illegible]

[illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

[illegible]

***

قوله : " **من أطــاع العلمــاء " . " من** " يحتمل أن تكــون شــرطية ، بــدليل قوله : **" فقد اتخــذهم** " ، لأنها جــواب الشــرط ، ويحتمل أن تكــون موصــولة ، أي **: "بــاب الــذي أطاع العلماء** " .

(1) " ! **(1**

[1] الإمام أحمد في " المسند " بنحوه ، والخطيب في " الفقيه والمتفقة (1/145) .

(2) مسلم : كتاب المساجد / باب قضاء الصلاة الفائته.

(3) الإمام أحمد في " المسند " (5/382) ، والترمذي : كتاب المناقب / باب في مناقب أبي بكر وعمر / وابن ماجة في " المقدمة " (1/37).

(1) الإمام أحمد في " المسند " (4/126) ، وأبو داود : كتاب السنة /باب في لزوم السنة ، وابن ماجة في " المقدمة " (1/15) ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في " الفتاوي " (28/493)، والحاكم ووافقه الذهبي (1-150) ، وابن رجب في " جامع العلوم " (ص246) .

(3) البخاري (كتاب الوضوء ، باب التمين في الوضوء) ، ومسلم (كتاب الطهارة ، باب التيمن في الطهور)

***

وعن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي

قوله في حديث عدي بن حاتم : (**أتخذوا**) . الضمير يعود للنصارى ، لأن اليهود لم يتخذوا المسيح ابن مريم إلهاً ، بل أدعوا أنه ابن زانية وحاولوا قتله ، وأدعو ا أنهم قتلوه ، ويحتمل أن يعود الضمير لليهود والنصاري جميعاً ويختص النصاري باتخاذ المسيح ابن مريم ، وهذا هو المتبادر من السياق مع الآية التي قبلها .

قوله : (**أحبارهم ورهبانهم**) . الأحبار : جمع حبر ، وحبر بفتح الحاء وكسرها ، وهو العالم الواسع العلم ، والرهبان : جمع راهب ، وهو العابد الزاهد .

قوله : (**أرباباً من دون الله**) . أي : مشاركين لله عز وجل في التشريع ، لأنهم يحلون ما حرم الله فيحله هؤلاء الأتباع ، ويحرمون ما أحل الله فيحرمه الأتباع .

قوله " (**والمسيح ابن مريم**) أي : اتخذوه إلهاً مع الله ، بدليل قوله تعالى : (**وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً**) ، والعبادة : التذلل والخضوع ، واتباع الأوامر واجتناب النواهي .

---

[1] الترمذي : كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة التوبة .

قوله : (**إلهاً واحداً**) . هو الله عز وجل ، وإله ، أي : مألوه معبود مطاع ، وليس بمعني آله ، أي : قادر على الاختراع ، فإن هذا المعني فاسد ذهب إليه المتكلمون أو عامتهم ، فيكون معنى **(لا إله إلا الله)** على هذا القول : لا رب إلا الله ، وهذا ليس بالتوحيد المطلوب بهذه الكلمة ، إذ لو كان كذلك لكان المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ [illegible]

[illegible]

وقوله : (عما يشــركون **) هذا من البلاغة في القــرآن لأنها جـــاءت محتملة أن تكـــون " ما " مصــــدرية ، فيكون المعـنى عن شــركهم ، أو موصـولة ، ويكـون المعني : سبحان الله عن الذين يشــركون به ، وهي صالحة للأمـرين ، فتكـون شـاملة لهما لأن الصـحيح جـــواز اســـتعمال المشـــترك في معنييه إذا لم يكن بينهما تعـــــارض ، فيكـــــون التنزية الشـــــرك وعن المشرك به .**

قوله : " إنا لســـــنا نعبـــــدهم " **. أي : لا نعبد الأحبــــار والرهبـــان ، ولا نســـجد لهم ولا نركع ولا نـــذبح ولا ننذرهم لهم ، وهذا صحيح بالنسبة للأحبار والرهبان بـــــدليل قوله** : " أليس يحرمــــون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ ! " **.**

فــإن هــذا الوصف لا ينطبق على عيسى أبــداً ، لأنه رسول الله ، فما أحله ، فقد أحله الله ، وما حرمه ، فقد حرمه الله ، وقد حـــاول بعض النـــاس أن يعل

الحـديث لهـذا المعـني مع ضـعف سـنده ، والحـديث حسنه الترمذي والألباني وآخرون وضعفه آخرون .
ويجـاب على التعليل المـذكور بـأن قـول عـدي : " لسـنا نعبـدهم " يعـود على الأحبـار والرهبـان ، أما عيسى ابن مريم ، فالمعروف أنهم يعبدونه .
وبدأ بتحريم الحلال ، لأنه أعظم من تحليل الحـرام ، وكلاهما محـرم ، لقوله تعـالى : ﴿ ولا تقولـوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب .. ﴾ [النحل : 116] .
قوله : " فتلك عبادتهم **" . ووجه كونها عبـادة : أن من معني العبـادة الطاعة ، وطاعة غـير الله عبـادة الله عبـادة للمطـاع ، ولكن بشـرط أن تكـون في غـير طاعة الله ، أما إذا كـــــــانت في طاعة الله ، فهي عبـــادة لله ، لأنك أطعت غـــير الله في طاعة الله ، كما لو أمرك أبـوك بالصـلاة فصـليت ، فلا تكـون قد أبـــاك أبـــوك بطاعتك له ، ولكن عبـــدت الله ، لأنك أطعت غـير الله في طاعة الله ، ولأن أمر غـير الله بطاعة الله وامتثال أمره هو امتثال لأمر الله .**

- ويستفاد من الحديث :

1- أن الطاعة بمعنى العبادة عبودية مقيدة .
2- أن الطاعة في مخالفة شـــرع الله من عبـــادة المطاع ، أما في عبادة الله ، فهي عبادة الله .
3- أن اتبـاع العلمـاء والعبـاد في مخالفة شـرع الله من اتخـاذهم أربابـاً . وأعلم أن أتبـاع العلمـاء أو الأمـراء في تحليل ما حـرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام**:**

الأول **: أن يتابعهم في ذلك راضـياً بقـولهم ، مقـدماً له ، ساخطاً لحكم الله ، فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله ، ولا تحبط الاعمال إلا بالكفر ، فكل من كره ما أنزل الله ، فهو كافر .**
الثاني **: أن يتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله وعالماً بأنه أمثل وأصــلح للعبــاد والبلاد ، ولكن لهــوي في نفسه أختاره ، كأن يريد مثلاً وظيفة ، فهذا لا يكفر ، ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة .**
الثالث **: أن يتابعهم جـاهلاً ، فيظن أن ذلك حكم الله ،** فينقسم إلى قسمين **:**

1- **أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه ، فهو مفرط أو مقصر ، فهو آثم ، لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم .**
2- **أن لا يكـون عالمـاً ولا يمكنه التعلم فيتـابعهم تقليـداً ويظن أن هـذا هو الحق ، فهـذا لا شـيء عليه لأنه فعل ما أمر به وكـان معـذوراً بـذلك ، ولـذلك ورد عن رسـول الله أنه قـال :** إن " من أفتي بغير علم ، فإنما إثمه على من أفتاه "[1]**، لو قلنا : بإثمه بخطأ غيره ، للزم من ذلك الحرج والمشـقة ، ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه .**

فإن قيل **: لماذا لا يكفر أهل القسم الثاني ؟**

أجيب **: إننا لو قلنا بكفـرهم لـزم من ذلك تكفـير كل صـاحب معصـية يعـرف أنه عـاص لله ويعلم أنه حكم الله .**

- فائدة **:**

وصف الله الحـاكمين بغـير ما أنـزل الله بثلاثة أوصاف :

1- **قـال تعـالى : (** ومن لم يحم بما أنـزل الله فأولئك هم الكافرون **) [المائدة : 44]**
2- **وقـال تعـالى : (** ومن لم يحكم بما أنـزل الله فأولئك هم الظالمون **) [المائدة : 45] .**
3- **وقال تعالى : (** ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون **) [المائدة : 47] .**

وأختلف أهل العلم مع ذلك :

فقيل **: إن هذه الأوصاف لموصوف واحد ، لأن الكافر ظـالم ، لقوله تعـالى : (** والكـافرون هم الظـالمون **) [البقـرة : 254] ، وفاسق ، لقوله تعـالى : (** وأما الـذين فسـقوا فمـأواهم النـار **) [السجدة : 20] ، أي : كفروا .**

وقيل **: إنها لموصـوفين مُتعـدِّدين ، وإنها على حسب الحكم ، وهذا هو الراجح .**

فتكون كافراً في ثلاثة أحوال :

أ)– إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنـزل الله ، بـدليل قوله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون **) [المائدة : 50]**

---

[1] الإمام أحمد في " المسند " (2/321، 365) ، وأبو داود : كتاب العلم / باب التوقي في الفتيا ، وابن ماجة : كتاب المقدمة / باب اجتناب الرأي : قال الألباني : " إسنادة حسن " (المشكاة 242) .

، فكل ما خالف حكم الله ، فهو من حكم الجاهلية ، بدليل الإجماع القطعي على أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنـزل الله فالمُحل والمُـبيح للحكم بغـير ما أنـزل الله مخالف لإجماع المسلمين القطعي، وهذا كـافر مرتد، وذلك كمن اعتقد حلّ الزنا أو الخمر أو تحريم الخبز أو اللبن .
2) إذا أعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله .
ج) إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله .
بـدليل قوله تعـالى : (ومن أحسن من الله حكمـاً لقـوم يوقنـون **) [المائـده : 50] ، فتضـمنت الآية أن حكم الله أحسن الأحكام ، بدليل قوله تعالى مقرراً ذلك** : (أليس الله بأحكم الحاكمين) [التين:8]، فإذا كان الله أحسن الحاكمين أحكاماً وهو أحكم الحـاكمين؛ ، فمن أدعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر لأنه مُكذب للقرآن .
ويكـــون ظالمـــاً : **إذا أعتقد أن الحكم بما أنـــزل الله أحسن الأحكـــام ، وأنه أنفع للعبـــاد والبلاد ، وانه الـــــــــواجب تطبيقة ، ولكن حمله البغض والحقد للمحكـوم عليه حـتى حكم بغـير ما أنـزل الله ، فهو ظالم .**
ويكون فاسقاً **: إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهـوي في نفسه مع اعتقــادة أن حكم الله هو الحق ، لكن حكم بغـيره لهـوي في نفسه ، أي محبة لما حكم به لا كراهية لحم الله ولا ليضر أحــــــداً به ،** مثل **: أن يحكم لشخص لرشوة رُشِــيَ إياها ، أو لكونها قريبــاً أو صـــديقاً ، أو يطلب من ورائه حاجة ، وما أشـــبه ذلك مع اعتقـاده بـأن حكم الله هو الأمثل والـواجب اتباعه ، فهـذا فاسق ، وإن كـان أيضـاً ظالمـاً ، لكن وصف الفسق في حقه أولي من وصف الظلم .**
أما بالنسبة **لمن وضع قوانين تشريعية مع علمه بحكم الله وبمخالفة هـذه القـوانين لحكم الله ، فهـذا قد بــدل الشـريعة بهـذه القـوانين ، فهو كـافر لأنه لم يرغب بهـذا القـانون عن شـريعة الله إلا وهو يعتقد أنه خـــير للعبـــاد والبلاد من شـــريعة الله ، وعنـــدما نقول بأنه كافر ، فنعني بذلك أن هــذا الفعل يوصل إلى الكفر .**

ولكن قد يكون الواضع له معدوراً ، مثل أن يغــرر به كأن يقال : إن هـذا لا يخـالف الإسـلام ، أو هـذا من المصــالح المرســلة ، أو هــذا مما رده الإســلام إلى الناس .
فيوجد بعض العلمـاء وإن كـانوا مخطـئين يقولـون : إن مسألة المعاملات لا تعلق لها بالشــرع ، بل ترجع إلى ما يصلح الاقتصاد في كل زمـان بحسـبه ، فـإذا اقتضي الحــال أن نضع بنوكـاً للربا أو ضـرائب على الناس ، فهذا لا شيء فيه .
وهذا لا شك في خطئه ، فـإن كـانوا مجتهـدين غفر الله لهم ، وإلا ، فهم على خطر عظيم ، واللائق بهـؤلاء أن يلقبـوا بـأنهم من علمـاء الدولة لا علمـاء الملة .
ومما لا شك فيه أن الشــرع جــاء بتنظيم العبــادات الـــتي بين الإنســـان وربه والمعـــاملات الـــتي بين الإنسان مع الخلق في العقـود والأنكحة والمـواريث وغيرها ، فالشـــرع كامل من جميع الوجـــوه ، قـــال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم)**[المائدة : 3] .**
وكيف يقـــال **: إن المعـــاملات لا تعلق لها بالشـــرع وأطول آية في القرآن نزلت في المعاملات ، ولـولا نظام الشرع في المعاملات لفسد الناس ؟ !**
وأنا لا أقـــول **: نأخذ بكل ما قاله الفقهـــاء ، لأنهم قد يصـــيبون وقد يخطئـــون ، بل يجب أن نأخذ بكل ما قاله الله ورسوله ، ولا يوجد حال من الإحوال تقع بين الناس إلا في كتاب الله وسـنة رسـوله ما يزيل إشكالها ويحلها ، ولكن الخطأ إما من نقص العلم أو الفهم ، وهذا قصور ، أو نقص التدبر ، وهذا تقصـير .**
أما إذا وفق الإنسان بالعلم والفهم وبذل الجهد في الوصـــول إلى الحق ، فلابد أن يصل إليه حـــتى في المعــاملات ، قــال تعــالى : (أفلا يتــدبرون القــرآن **) [النســاء : 82] وقــال تعــالى** أفلم يــدبروا القــول **[المؤمنون : 68] ، وقال تعالى :** كتاب أنزلناه إليك مبـارك ليـدبروا آياته **[ص : 29] وقـال تعـالى** ونزلنا عليك الكتــاب تبيانــاً لكل شــيء **[النحل : 89] ، فكل شـــيء يحتاجه الإنســـان في دينه أو دنيـــاه ، فـــإن القرآن بينه بياناً شافياً .**

ومن سَـنَّ قـوانين تخـالف الشـريعة وأدَّعي أنها من المصـــالح المرســـلة ، فهو كـــاذب في دعـــواه لأن المصالح المرسلة والمقيدة إن أعتبرها الشـرع ودل عليها فهي حق ومن الشـــــــرع ، وإن لم يعتبرها ، فليست مصـالح ، ولا يمكن أن تكـون كـذلك ، ولهـذا كان الصواب أنه ليس هنـاك دليل يسـمي بالمصـالح المرسلة ، بل ما اعتبره الشرع ، فهو مصــلحة ، وما نفاه ، فليس بمصلحة ، وما سكت عنه ، فهو عفو .

والمصـالح المرسـلة توسع فيها كثـير من النـاس ، فأدخل فيها بعض المســـائل المنكـــرة من البــــدع وغيرها ، كعيد ميلاد الرســـول ، فزعمــــوا أن فيه شــحذاً للهمم وتنشــيطاً للنـــاس لأنهم نســوا ذكر رســول الله ، وهــذا باطل ، لأن جميع المســلمين في كل صـلاة يشـهدون أن محمـداً عبـده ورسـوله ويصلون عليه ، والذي لا يحيى قلبه بهذا وهو يصلي بين يــدي ربه كيف يحــيي قلبه بســاعة يــؤتي فيها بالقصـــائد الباطلة الـــتي فيها من الغلو ما ينكـــره رسول الله ؟ ! فهذه مفسدة وليست بمصلحة.

فالمصــالح المرســلة وإن وضــعها بعض أهل العلم المجتهــدين الكبــار ، فلا شك أن مــرادهم نصر الله ورسوله ، ولكن استخدمت هذه المصالح في غير ما أراده أولئك العلمــــــاء وتوسع فيها ، وعليه ، فإنها تقاس بالمعيار الصحيح ، فإن أعتبرها الشــرع قبلت ، وإلا ، فكما قـــال الإمـــام مالك : " كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القـبر **" ، وهنالك قواعد كليـات تطبق عليها الجزئيات .**

وليعلم أن يجب على الإنســــــان أن يتقي ربه في جميع الأحكـام ، فلا يتســرع في البت بها خصوصــاً في التكفير الـذي صـار بعض أهل الغـيرة والعاطفة يطلقونه بدون تفكـير ولا رَويَّة ، مع أن الإنســان إذا كفر شخصاً ولم يكن الشخص أهلاً له ، عاد ذلك إلى قائله ، وتكفير الشخص يـترتب عليه أحكـام كثـيرة ، فيكون مباح الدم والمال ، ويترتب عليه جميع أحكام الكفر ، وكما لا يجــوز أن نطلق الكفر على شــخص معين حتى يتبين شـروط التكفـير في حقه يجب أن لاَ نجبُن عن تكفـير من كفـره الله ورسـوله ، ولكن

يجب أن نفـرق بين المُعَيّن وغـير المُعَيَّن ، فـالمعين يحتاج الحكم بتكفيره إلى أمرين **:**

1) ثبوت أن هذه الخصلة التي قـام بها مما يقتضي الكفر .

2) انطباق شروط التكفير عليه ، وأهمها العلم بأن هذا مُكفِّر ، فـإن كـان جـاهلاً ، فإنه لا يكفر ، ولهـذا ذكر العلمــاء أن من شـــروط إقامة الحد أن يكـــون عالماً بالتحريم ، هذا وهو إقامة حد وليس بتكفــير ، والتحرز من التكفير أولى وأحرى .

قال تعالى : ﴿ رسـلاً مبشـرين ومنـذرين لئلا يكـون للنـاس على الله حجة بعد الرسل ﴾ **[النســـاء : 165] وقــــال تعالى :** ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسـولاً ﴾ **[الإسـراء : 15] ، وقال تعالى ﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ [التوبة : 115] ، ولابد مع تـوفر الشـروط من عـدم الموانع ، فلو قام الشخص بما يقتضي الكفر إكراهـاً أو ذهـولا لم يكفر ، لقوله تعـــالى : ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من إكـــراه وقلبه مطمئن بالإيمــــان ﴾[النحل : 106] ، ولقول الرجل الذي وجد دابته في مهلكة : " اللهم ! أنت عبدي وأن ربك ، أخطأ من شـدة الفـرح "** [2]**، فلم يؤاخذ بذلك .**

- فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور . الثانية : تفسير آية بـراءة . الثالثة : التنبية على معني العبادة الـتي أنكرها عـدي . الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .الخامسة : تحول الأحوال إلى هـذه الغاية ، حـتى صـار عند الأكـثر عبـادة الرهبان هي أفضل الأعمال ، وتسمي الولاية ، وعبادة الأحبـار هي العلم والفقه ، ثم تغـيرت الأحـوال إلى أن عُبِـدَ من دون الله من ليس من الصـالحين ، وعُبِـدَ بـالمعني الثـاني من هو من الجاهلين .

- فيه مسائل :
- الأولى **: تفســـير آية النـــور . وهي قوله تعـــالى :** (فليحــذر الــذين يخـالفون عن أمــره أن تصــيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) **، وسبق تفسيرها .**

---

[2] البخاري : كتاب الدعوات / باب التوبة ، ومسلم كتاب التوبة /باب في الحض على التوبة .

- **الثانية : تفســير آية بــراءة . وهي قوله تعــالى :** (أتخذوا أحبارهم ورهبـانهم أربابـاً من دون الله . .) **الآية ، وقد سبق ذلك .**
- الثالثة **: التنبية على معــني العبــادة الــتي أنكرها عبــــدي . لأن العبــــادة هي التعبد لهم بالطاعة ، والتذلل لهم بالركوع والسجود والنذر وما أشــبهه ، لكن بيَّن المراد من عبادتهم بأنها طـاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال .**
- الرابعة **: تمثيل ابن عبــــاس بـــــأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان :** أي : إذا **كـان أبو بكر وعمر لا يمكن أن يُعَـارَض قـول النـبي بقولهما ، فما بالك بمن عارض قول النبي بقول من دونهما ؟ ! فهو أشد وأقبح ، وكـــذلك مثل الإمـــام أحمد بسـفيان الثـوري وأنكر على مَن أخذ برأيه وتـرك ما صح به الإســناد عن رســول الله ، واســتدل بقوله تعالى : (** فليحذر الذين يخالفون عن أمره .... **) الآية.**
- الخامسة **: تحول الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبـادة الرهبـان هي أفضل الأعمـال .. إلخ .**

يقــول المؤلف رحمة الله تعــالى **: تغــيرت الأحــوال إلى هذه الغاية حتى صار عن الأكثر عبـادة الرهبـان هي أفضل الأعمـال .. وهـذا لا شك أنه أشد من معارضة قول الرسول بقول أبي بكر وعمر .**

ثم قال : " ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصــالحين **"، أي : يركع ويســجد له ، ويعظم تعظيم الــرب ، ويوصف بما لا يسـتحق ، وهـذا يوجد عند كثــير من الشــعراء الــذين يمــدحون الملــوك والــوزراء وهم لا يسـتحقون أن يكونــوا بمنزلة أبي بكر وعمر .**

ثم قــــال : " وعبد بـــالمعني الثــــاني **" : وهو الطاعة والاتبـاع مَن هو من الجـاهلين ، فـأطيع الجاهل في تحليل ما حــرم الله وتحــريم ما أحل الله ، كما يوجد في بعض النظم والقــــوانين المخالفة للشــــريعة الإســلامية ، فــإن واضــعيها جهــال لا يعرفــون من الشـريعة ولا الأديـان شـيئاً ، فصـاروا يعبـدون بهـذا**

المعني ، فيطاعون في تحليل ما حرم الله وتحــريم ما أحل الله .

وهـــذا في زمــــان المؤلف ، فكيف بزماننا ؟ ! وقد قال النــبي فيما رواه البخـاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النـــبي ، أنه قـــال : " لا يـــأتي زمان على النـاس إلا وما بعـده شر منه ، حـتى تلقـوا ربكم "[1] **، وقال النبي للصحابة :** " ومن يعش منكم فسيرى أختلافاً كثيراً "[2]**، وعصر الصحابة أقــرب إلى الهـدي من عصر من بعدهم .**

والناس لا يُحسُّون بالتغير ، لأن الأمـور تـأتي رويـداً رويـــداً، ولو غـــاب أحد مـــدة طويلة ثم جـــاء ، لوجد التغـير الكثـير المـزعج نسـأل الله السـلامة ، فعلينا الحـذر ، وأن نعلم أن شــرع الله يجب أن يُحمَى وأن يُصـــان ، ولا يطـــاع أحد في تحليل ما حـــرم الله أو تحــريم ما أحل الله أبـــداً مهما كـــانت منزلته ، وأن الـواجب أن نكـون عبـاداً لله عز وجل تـذللاً وتعبـداً وطاعة .

---

[1] البخاري : كتاب الفتن / باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه .
[2] تقدم تخريجه (ص 733)

***

باب قول تعالى

(ألم تر الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيـداً) [النسـاء : 60] الآيات .

هـذا البـاب له صـلة قوية بما قبله ، لأن ما قبله فيه حكم من أطاع العلمـاء والأمـراء في تحليل ما حـرم الله أو تحـريم ما أحل الله ، وهـذا فيه الإنكـار على من أراد التحـاكم إلى غـير الله ورسـوله ، وقد ذكر الشيخ رحمه الله فيه أربع آيات :

- **الآية الأولى ما جعلها ترجمة للبـــاب ، وهي قوله تعالى : (** ألم تر **) .**

الاســتفهام يُــراد به التقرير والتعجب من حــالهم ، والخطاب للنبي .

قوله **: (** يزعمـون أنهم آمنـوا بما أنـزل إليك **) . هـذا يُعيّن أن يكون الخطاب للنبي هنا ، ولم يقل الذين آمنوا ، لأنهم لم يؤمنوا ، بل يزعمون ذلك وهم كاذبون .**

والـذي أُنـزل على النـبي الكتـاب والحكمة ، قـال تعالى : وأنــزل الله عليك الكتـاب والحكمة **[النسـاء : 113] ، قـال المفسـرون : الحكمة السـنة ، وهم يزعمــون أنهم آمنــوا بــذلك ، لكن أفعــالهم تكــذب أقوالهم ، حيث يريدون أن يتحـاكموا إلى الطـاغوت لا إلى الله ورسوله .**

قوله : (إلى الطاغوت **) . صيغة مبالغة من الطغيـان ، ففيه اعتداء وَبغي ، والمـراد به هنا كل حكم خـالف حكم الله ورسوله ، وكل حـاكم يحكم بغـير ما أنـزل الله على رسـوله ، أما الطــاغوت بــالمعني الأعم ، فقد حَـدَّه ابن القيم بأنه : "** كل ما تجـاوز العبد به حـده من معبـود أو متبـوع أو مطـاع **" ، وقد تقدَّم الكلام عليه في أول كتاب التوحيد .**

قوله : (وقد أمروا أن يكفروا **) . أي أمرهم الله بالكفر بالطاغوت أمراً ليس فيه لبس ولا خفـاء ، فمن أراد التحـاكم إليه ، فهـذه الإدارة على بصـيرة ، إذ الأمر قد بين لهم .**

قوله : (ويريد الشــيطان **) . جنس يشــمل شــياطين الإنس والجن .**

قوله : (أن يضـلهم ضـلالاً بعيـداً) . أي : يـوقعهم في الضـلال البعيد عن الحق ، ولكن لا يلـزم من ذلك أن ينقلهم إلى الباطل مرة واحدة ، ولكن بالتدريج .
فقوله : (بعيـداً) . أي ليس قريبـاً ، لكن بالتـدريج شيئاً فشيئاً حتى يوقعهم في الضلال البعيد .
قوله : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلي الرسول) . أي : قال لهم النـاس : أقبلـوا (إلى ما أنـزل الله) من القرآن (وإلي الرسـول) نفسه في حياته وسـنته بعد وفاته ، والمراد هنا الرسول نفسه في حياته .
قوله : (رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) الرؤية هنا رؤية حـال لا رؤية بصر ، بـدليل قوله : (تعـالوا) ، فهي تدل على أنهم ليسوا حاضرين عنده .
والمعني : كأنما تشاهدهم .
وقوله : (رأيت المنـــافقين) . إظهـــار في موضع الإضمار لثلاث فوائد :
الأولى : أن هـؤلاء الـذين يزعمـون الإيمـان كـانوا منافقين .
الثانية : أن هذا لا يصدر إلا من منـافق ، لأن المـؤمن حقاً لابد أن ينقاد لأمر الله ورسوله بدون صدود .
الثالثة : التنبيه ، لأن الكلام إذا كـان على نسق واحد قد يغفل الإنسان عنه ، فإذا تغير ، حصل له انتباه .
وقوله : (رأيت المنافقين) جواب " إذا " ، وكلمة " صد " تسـتعمل لازمة ، أي : يوصف بها الشـخص ولا يتعداه إلى غـيره ، ومصـدرها صـدود ، كما في هـذه الآية ، ومتعدية ، أي : صد غـيره ، ومصـدرها صد ، كما في قوله تعالى : (وصدوكم عن المسـجد الحـرام) [الفتح : 25] .
وقوله : (فكيف إذا أصـابتهم مصـيبة بما قـدمت أيـديهم ثم جـاءوك يحلفـون بالله إن أردنا إلا أحسـاناً وتوفيقـاً) . الاسـتفهام هنا يـراد به التعجب ، أي : كيف حـالهم إذا أصابتهم مصيبة ، والمصيبة هنا تشـمل المصـيبة الشرعية والدنيوية لعدم تضاد المعنيين .
فالدنيوية مثل : الفقر ، والجـدب ، وما أشـبه ذلك ، فيأتون يشكون إلى النبي ، فيقولـون : أصابتنا هـذا المصائب ونحن ما أردنا إلا الإحسان والتوفيق .

والشرعية : **إذا أظهر الله رسوله على أمرهم ، خافوا وقـــالوا : يا رســـول الله ! ما أردنا إلا الإحســـان والتوفيق .**
قوله : (بما قدمت أيديهم **) . الباء : هنا للسـببية ، (** ما **) اسم موصول ، و(** قدمت **) صـلته ، والعائد محـذوف تقديره بما قدمته أيديهم ، وفي اللغة العربية يطلق هـذا التعبـير باليد ويـراد به نفس الفاعل ، أي : بما قدموه من الإعمال السيئة .**
وقوله : (إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً **) . (** إن **) بمعـني :** " ما " **، أي : ما أردنا إلا إحســـاناً بكوننا نســـلم من الفضيحة والعار ، وتوفيقاً بين المؤمنين والكافرين أو بين طريق الكفر وطريق الإيمـــان ، أي : نمشي معكم ونمشى مع الكفار ، وهـذه حـال المنـافقين ، فهم قـــالوا أردنا أن نحسن المنهج والمســـلك مع هؤلاء وهؤلاء ونوفق بين الطرفين .**
قوله : (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم **) . توعـدهم الله بأنه يعلم ما في قلـــوبهم من النفـــاق والمكر والخـداع ، فالله علام الغيـوب ، قـال تعـالى :** (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه **) [الأنفال : 24] ، وهذا من أعظم ما يكـون من العلم والخـبرة أن الله يحول بين المرء وقلبه ، ولهذا قيل لأعرابي : "** بم عرفت ربك ؟ قال : بنقض العزائم ، وصرف الهمم **" .**
فالإنسان يعزم على الشيء ثم لا يدري إلا وعزيمته منتقضة بدون سبب ظاهر .
قوله : (فأعرض عنهم **) . وهـذا من أبلغ ما يكـون من الإهانة والاحتقار .**
قوله : (وعظهم **) . أي : ذَكَّرهم وخَـــوَّفهم ، لكن لا تجعلهم أكـــبر همك ، فلا تخـــافهم ، وقم بما يجب عليك من الموعظة لتقوم عليهم الحجة .**
قوله : (وقل لهم في أنفســـــهم بليغـــــاً **) . أختلف المفسرون فيها على ثلاثة أقوال :**
الأول **: أن الجار والمجرور في أنفسـهم متعلق ببليغ ، أي قل لهم قولا بليغاً في أنفسهم ، أي: يبلغ في أنفسهم مبلغاً مؤثراً .**
الثاني **: أن المعني : أنصحهم سراً في أنفسهم .**
الثالث **: أن المعني : قل لهم في أنفسـهم (** أي : في شأنهم وحالهم **) قولاً بليغـاً في قلـوبهم يـؤثر عليها ،**

والصـــحيح أن الآية تشـــمل المعـــاني الثلاثة ، لأن اللفظ صـالح لها جميعـاً ، ولا منافـاة بينها ، وهـذه قاعـــدة في التفســـير ينبغي التنبيه لها ، وهي أن المعاني المحتملة للآية والتي قال بها أهل العلم إذا كانت الآية تحتملها وليس بينها تعـارض : فإنه يؤخذ بجميع المعاني .
وبلاغة القول تكون في أمور :
الأول **: هيئة المتكلم بـــأن يكـــون إلقـــاؤه على وجه مؤثر .**
وكان النبي ﷺ إذا خطب ، احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشـتد غضـبه حـتى كأنه منـذر جيشـاً ، يقـول : صبَّحكم ومَسَّاكم [1] .
الثـــاني **: أن تكـــون ألفاظه جزلة مترابطة محـــدودة الموضوع .**
الثالث **: أن يبلغ من الفصاحة غايتها بحسب الإمكـان ، بـأن يكـون كلامه : سـليم الـتركيب ، موافقـاً للغة العربية ، مطابقاً لمقتضى الحال .**
قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميه : " إن هـذه الآية تنطبق تمامـاً على أهل التحريف والتأويل في صـــفات الله ، لأن هـــؤلاء يقولـون : إنهم يؤمنـون بالله ورسـوله ، وإذا قيل لهم تعـالوا إلى ما أنـــزل الله وإلي الرســول ، يعرضـــون ، ويصـــدون ويقولون : نذهب إلى فلان وفلان ، وإذا اعترض عليهم ، قالوا : نريد الإحســان والتوفيق ، وأن نجمع بين دلالة العقل ودلالة السمع " . ذكره رحمة الله في الفتوى الحموية.
قوله : (وإذا قيل لهم لا تفسـدوا في الأرض قـالوا إنما نحن مصلحون **) [البقرة : 11] .**
وقوله : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها **) [الأعراف : 56] .**
وقوله : (أفحكم الجاهلية يبغون **) [المائدة : 50] .**

- **الآية الثانية قوله تعـالى :** (وإذا قيل لهم لا تفســدوا في الأرض) **.**

الإفساد في الأرض نوعان :
الأول **: إفساد حسي مادي : وذلك مثل هـدم الـبيوت وإفساد الطرق وما أشبه ذلك .**

---

[1] مسلم : كتاب الجمعة / باب تخفيف الصلاة والخطبة .

الثـاني : **إفساد معنـوي ، وذلك بالمعاصي ، فهي من أكبر الفسـاد في الأرض ،** قـال تعـالى : **(** ظهر الفسـاد في البر والبحر بما كسبت أيـدي النـاس ليـذيقهم بعض الـذي عملوا لعلهم يرجعون **) [الروم : 41] ، وقال تعالى : (** وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثـير **) [الشورى : 30] ، وقال تعالى :** (ولو أن أهل القري آمنـوا واتقـوا لفتحنا عليهم بركـات من السـماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسـبون **) [الأعراف : 96] ، وقـال تعـالى : (** ولو أن أهل الكتـاب آمنـوا واتقـوا لكفرنا عنهم سـيئاتهم ولأدخلنـاهم جنـات النعيم ولو أنهم أقـاموا التـوراة والإنجيل وما أنـزل إليهم من ربهم لأكلـوا من فـوقهم ومن تحت أرجلهم **) [المائدة : 65-66] .**

قوله : (إنما نحن مصلحون **) . وهـذه دعـوي من أبطل الـدعاوى ، حيث قـالوا : ما حالنا وما شـأننا إلا الإصلاح .**

ولهذا قال تعـالى : (ألا إنهم هم المفسـدون **) .** (ألا) **: أداة استفتاح ، والجملة مؤكدة بأربع مؤكِّدات ، وهي : (** إلا **) ، و(** إن **) . وضـمير الفصل (** هم **) . والجملة الاسمية ، فالله قابل حصرهم بأعظم منه ، فهـؤلاء الـذين يُفسـدون في الأرض ويـدَّعون الإصـلاح هم المفسدون حقيقة لا غيرهم**

ومناسبة الآية للباب ظاهرة ، وذلك أن التحـاكم إلى غير ما أنزل الله من أكبر أسباب الفساد في الأرض .

- **الآية الثالثة قوله تعالى : (** ولا تفسدوا في الأرض **) . يشمل الفساد المادي والمعنوي كما سبق .**
- **قوله : (** بعد إصلاحها **) . من قبل المصـلحين ، ومن ذلك الوقـوف ضد دعـوة أهل العلم والوقـوف ضد دعوة السلف ، والوقوف ضد من ينادي بأن يكـون الحكم بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .**
- **وقوله : (** بعد إصـلاحها **) من بـاب تأكيد اللـوم والتـوبيخ ، إذا كيف يفسد الصـالح وهـذا غاية ما يكون من الوقاحة والخبث والشر ؟ فالإفسـاد بعد الإصـلاح أعظم وأشد من أن يمضي الإنسـان في فسـاده قبل الإصـلاح ، وإن كـان المطلـوب هو الإصلاح بعد الفساد .**

- ومناسبة الآية للباب : **أن التحاكم إلى ما أنزل الله هو الإصلاح ، وأن التحاكم إلى غيره هو الإفساد .**
- **الآية الرابعة قوله تعالى : (** أفحكم الجاهلية يبغون **) . الاستفهام للتوبيخ ، و(** حكم **) : مفعول مقدم لـ (** يبغون **) ، وقُدِّم لإفادة الحصر ، والمعني : أفلا يبغون إلا حكم الجاهلية.**

و(يبغون **) : يطلبون ، والإضافة في قوله : (** حكم الجاهلية **) تحتمل معنيين :** أحدهما **: أن يكون المعنى : أفحكم أهل الجاهلية الذين سبقوا الرسالة يبغون ، فيريدون أن يعيدوا هذه الأمة إلى طريق الجاهلية التي أحكامها معروفة ، ومنها البحائر ، والسوائب ، وقتل الأولاد .**

ثانيهما **: أن يكون المعنى : أفحكم الجهل الذي لا يبنى على العلم يبغون ، سواء كانت عليه الجاهلية السابقة أو لم تكن ، وهذا أعم .**

والإضافة للجاهلية تقتضي التقبيح والتنفير .

وكل حكم يخالف حكم الله ، فهو جهل وجهالة .

فإن كان مع العلم بالشرع ، فهو جهالة ، وإن كان مع خفاء الشرع ، فهو جهل ، والجهالة هي العمل بالخطأ سفهاً لا جهلاً ، قال تعالى : (إنما التوبة على الله **للذين** يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب **) [النساء : 17] ، وأما مَن يعمل السوء بجهل فلا ذنب عليه ، لكن عليه أن يتعلم .**

قوله : (ومن أحسن من الله حكماً **) . (** من **) : اسم استفهام بمعنى النفي ، أي : لا أحد أحسن من الله حكماً ، وهذا النفي مُشرَب معني التحدي ، فهو أبلغ من قوله :** " أحسن من الله حكماً " **، لأنه متضمن للنفي وزيادة .**

وقوله : (حكماً **) . تمييز ، لأنه بعد اسم التفضيل ، وهو مبهم ، فبيَّن هذا التمييز المبهم وميزه .**

والحكم هنا يشمل الكوني والشرعي .

فإن قيل يوجد في الأحكام الكونية ما هو ضار مثل الزلازل والفيضانات وغيرها ، فأين الحُسن في ذلك ؟

أُجيب **: أن الغايات المحمودة في هذه الأمور تجعلها حسنةً ، كما يضرب الإنسان ولده تربية له ، فيعد هذا الضرب فعلاً حسناً ، فكذلك الله يصيب بعض**

النـاس بهـذه المصـائب لـتربيتهم ، قـال تعـالى في القرية الـــتي قلب الله أهلها قـــردة خاســـئين : (فجعلناها نكـــالاً لما بين يـــديها وما خلفها وموعظة للمتقين **) [البقـرة : 66]ـ ، وهـذا الحسن في حكم الله ليس بينـاً لكل أحد ، كما قـال تعـالى : (** لقـوم يوقنـون **) ، وكلما ازداد العبد يقينـاً وإيمانـاً ازداد معرفة بحسن أحكـــام الله ، وكلما نقص إيمانه ويقينة أزداد جهلاً بحسن أحكام الله ، ولذلك تجد أهل العلم الراسخين فيه إذا جـاءت الآيـات المتشـابهات بينـوا وجه ذلك بأكمل بيان ولا يرون في ذلك تناقضاً ، وعلى هـذا ، فإنه يتـبين قـوة الإيمـان واليقين بحسب ما حصل للإنســـان من معرفته بحسن أحكـــام الله الكونية والشرعية .**

وقوله : (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون **) . خبر لا يدخله الكذب ولا النسخ إطلاقاً ، ولذلك هـدي الله الـــذين آمنـــوا لما اختلفـــوا فيه من الحق بإذنه ، فجمعوا بين المتشابهات والمختلفات من النصــوص ، وقـــالوا : (** كل من عند ربنا **) [آل عمـــران : 7]ـ ، وعرفـــوا حسن أحكـــام الله تعـــالى ، وأنها أحسن الأحكام وأنفعها للعبـاد وأقومها لمصـالح الخلق في المعاش والمعاد ، فلم يرضوا عنها بديلاً .**

وعن عبد الله بن عمر ، أن رســـول الله ﷺ قـــال : لا يـــؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " [1]. قال النـووي : " حديث صحيح ، رويناه في كتاب " الحجة " ، بإسـناد صـحيح " [2].

قوله في حـديث عبد الله بن عمر : " لا يـؤمن أحـدكم **" . أي إيمانـاً كـاملاً إلا إذا كـان لا يهـوي ما جـاء به النـــبي ﷺ بالكلية ، فإنه ينتفي عنه الإيمـــان بالكلية ، لأنه إذا كره ما أنـزل الله ، فقد حبط عمله لكفـره ، قال تعالى (** ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) [محمد : 9] .

---

[1] ابن أبي عاصم في " السنة " (15) ، والخطيب في " التاريخ " (4/369) ، والبغوي في " شرح السنة " (1/212) ، وانظر كلام الشيخ حفظه الله ، ص 759.

[2] الإربعون النووية " (حديث رقم 41) .

قوله : " حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " . الهوي بالقصر هو : الميل ، وبالمد هو : الريح ، والمراد الأول .
و" حتى " : للغاية ، والذي جاء به النبي هو القرآن والسنة .
وإذا كان هواه تبعاً لما جاء به النبي ، لزم من ذلك أن يوافقه تصديقاً بالأخبار ، وامتثالاً للأوامر ، واجتناباً للنواهي .
واعلم أن أكثر ما يطلق الهوى على هوى الضلال لا على هوى الإيمان ، قال تعالى : (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) [الجاثية : 23] ، وقال تعالى : (واتبعوا أهواءهم) [محمد : 14] ، وغيرها من الآيات الدالة على ذم من اتبع هواه ، ولكن إذا كان الهوى تبعاً لما جاء به النبي ، كان محموداً ، وهو من كمال الإيمان .
وقد سبق بيان أن مَن اعتقد أن حكم غير الله مساو لحكم الله ، أو أحسن ، أو أنه يجوز التحاكم إلى غير الله ، فهو كافر .
وأما مَن لم يكن هواه تبعاً لما جاء به النبي ، فإن كان كارهاً له ، فهو كافر وإن لم يكن كارهاً ولكن آثر محبة الدنيا على ذلك ، فليس بكافر ، لكن يكون ناقص الإيمان .
قوله :" قال النووي : حديث صحيح " . صححه النووي وغيره ، وضعفه جماعة من أهل العلم ، منهم ابن رجب في كتابه " جامع العلوم والحكم " ، ولكن معناه صحيح .
قوله في أثر الشعبي : " وقال الشعبي" . أي : في تفسير الآية .
قوله : " رجل من المنافقين " . هو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، وسمي منافقاً من النافقاء ، وهي جُحر اليربوع ، واليربوع له جُحر له باب وله نافقاء – أي يحفر في الأرض خندقاً حتى يصل منتهي جحره ثم يحفر إلى أعلى ، فإذا بقي شيء قليل بحيث يتمكن من دفعه برأسه توقف ، فإذا حُجر عليه من الباب خرج من النافقاء .
قوله : " ورجل من اليهود " . اليهود هو المنتسبون إلى دين موسى عليه السلام ، وسموا بذلك إما من

قوله : (إنا هـــدنا إليك) **، أي : رجعنا ، أو نســـبة إلى أبيهم يهوذا ، ولكن بعد التعريب صار بالدال .**
قوله : " إلى محمد " **. أي النبي ، ولم يذكره بوصف الرسالة ، لأنهم لا يؤمنـون برسـالته ، ويزعمـون أن النبي الموعود به سيأتي .**
قوله : " عـــــرف أنه لا يأخذ الرشـــــوة " **تعليل لطلب التحاكم إلى النبي .**
والرشوة : مُثَلثةُ الراء ، فيجوز الرِّشوة ، والرَّشوة ، والرُّشوة، وهي : المال المدفوع للتوصل إلى شيء .
قال أهل العلم : " لا تكـون محرمة إلا أذا أراد الإنسـان أن يتوصل بها إلى باطل أو دفع حق ، أما مَن بـــذلها ليتوصل بها إلى حق له منع منه أو ليـــدفع بها بــاطلاً عن نفسه ، فليست حراماً على الباذل ، أما على آخذها ، فحرام " **.**
قوله : " فاتفقا أن يأتيا كاهنـــاً في جهينة " . كأنه صــار بينهما خلاف ، وأبي المنــافق أن يتحاكما إلى النبي .
والكــاهن **: مَن يـــدَّعي علم الغيب في المســتقبل ، وكـان للعـرب كُهـان تـنزل عليهم الشـياطين بخـبر السماء ،** فيقولون **: سيحدث كذا وكذا ، فربما أصـابوا مرة من المرات ، وربما أخطؤوا ، فإذا أصابوا أدَّعوا علم الغيب ، فكان العـرب يتحـاكمون إليهم ، فـنزل قوله تعالى** : (ألم تر إلى الذين يزعمون ..) **الآية .**

وقيل : " نزلت في رجلين أختصـما ، فقـال أحـدهما : نـترافع إلى النـــبي ، وقـــال الآخر : إلى : كعب بن الأشـــرف ، ثم ترافعا إلى عمر ، فـذكر له أحـدهما القصة ، فقـال للـذي لم يرض برسول الله : أكذلك ؟ : نعم . فضربه بالســيف فقتله " [1].

قوله : " وقيل " **. ذكر هذه القصة بصيغة التمـريض ، لكن ذكر في " تيســـير العزيز الحميد " : أنها رُويت من طـــرق متعـــددة ، وأنها مشـــهورة متداولة بين السـلف والخلف تـداولاً يُغـني عن الإسـناد ، ولها طرق كثيرة ولا يضرها ضعف إسنادها . أ . هــ .**

---

[1] قال الحافظ في " الفتح " (5/37) : " رواه اكلبي في تفسيره عن ابن عباس .. ، وإسناده وإن كان ضعيفاً لكن تقوي بطريق مجاهد " .

قوله : " رجلين **" . هما مبهمـــان ، فيحتمل أن يكونا من المســـلمين المؤمـــنين ، ويحتمل أن يكونا من المنافقين ، ويحتمل غير ذلك .**
قوله : " إلى كعب بن الأشرف **" . وهو رجل من زعماء بني النضير .**
قوله : " أكـذلك **" . خـبر لمبتـدأ محـذوف ، التقـدير : أكذلك الأمر .**
قوله : " فضربه بالسيف **" . الضارب عمر .**
وهذه القصة والتي قبلها تدل على أن من لم يـرض بحكم رســول الله كــافر يجب قتله ، ولهــذا قتله عمر رضي الله عنه .
فإن قيل **: كيف يقتله عمر رضي الله عنه والأمر إلى الإمام وهو النبي ؟**
أجيب **: أن الظـــاهر أن عمر لم يملك نفسه لقــــوة غَيرته فقتله ، لأنه عرف أن هـذا ردة عن الإسـلام ، وقد قال النبي :** " من بدل دينه فاقتلوه " [1]**.**

- فيه مسائل :

الأولى : تفســـير آية النســـاء وما فيها من الإعانة على فهم الطـــاغوت . الثانية : تفســير آية البقــرة : (وإذا قيل لهم لا تفســدوا في الأرض) الآية : الثالثة : تفســير آية الأعــراف : (ولا تفســدوا في الأرض بعد إصــلاحها) . الرابعة : تفســير (أفحكم الجاهلية يبغـون) . الخامسة : ما قـال الشـعبي في سبب نزول الآية الأولى . الأولى . السادسة : تفسـير الإيمـان الصادق والكاذب . السابعة : قصة عمر مع المنافق . الثامنة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حـتى يكـون هـواه تبعا لما جـاء به الرسول .
الأولى **: تفسير آية النســاء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت . وهي قوله تعالى : (** ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك **) .**
وقوله : " وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت **" . أي : أن الطاغوت مشتق من الطغيان ، وإذا كان كــذلك ، فيشــمل كل ما تجــاوز به العبد حــده من متبــوع أو معبود أو مطاع ، فالأصنام والأمراء والحكـام الـذين يُحلون الحرام ويحرمون الحلال طواغيت .**

---

[1] البخاري : كتاب استتابة المرتدين / باب حكم المرتد .

- الثانية : **تفسير آية البقرة : (** وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون **) . ففيها دليل على أن النفاق فساد في الأرض ، لأنها في سياق المنافقين ، والفساد يشمل جميع المعاصي .**
- الثالثة : **تفسير آية الأعراف : (** ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها **) . وقد سبق .**
- الرابع : **تفسير (** أفحكم الجاهلية يبغون **) . وقد سبق ذلك ، وقد بينا أن المراد بحكم الجاهلية كل ما خالف الشرع ، وأضيف للجاهلية للتنفير منه وبيان قبحه وأنه مبني على الجهل والضلال .**
- الخامسة : **ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى . وقد سبق .**
- السادسة : **تفسير الإيمان الصادق والكاذب . فالإيمان الصادق يستلزم الإذعان التام والقبول والتسليم لحكم الله ورسوله ، والإيمان الكاذب بخلاف ذلك .**
- السابعة : **قصة عمر مع المنافق . حيث جعل عدوله عن الترافع إلى النبي مبيحاً لقتله لردته ، وأقدم على قتله لقوة غيرته فلم يملك نفسه .**
- الثامنة : **كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول . وهذا واضح من الحديث .**

***

***

باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

الجحد : الإنكار ، والإنكار نوعان :

الأول **: إنكــار تكــذيب ، وهــذا كفر بلا شك ، فلو أن أحداً أنكر أسماً من أسـماء الله أوصـفة من صـفاته الثابتة في الكتــاب والســنة ، مثل أن يقــول : ليس لله يد ، أو أن الله لم يستو على عرشه ، أو ليس له عين ، فهو كافر بإجماع المسلمين ، لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة بالإجماع .**

الثاني **: إنكــار تأويل ، وهو أن لا ينكرها ولكن يتأولها إلى معني يخالف ظاهرها** ، وهذا نوعان :

1- أن يكون للتأويل مُسَوِّغ في اللغة العربية ، فهـذا لا يُوجب الكفر .

2- أن يكون له مُسَوِّغ في اللغة العربية ، فهذا حكمه الكفر لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار في الحقيقة تكــذيباً ، مثل أن يقــول : المــراد بقوله تعــالى (تجــري بأعيننا) **[القمر : 14] تجــري بأراضــينا ، فهذا كافر لأنه نفاها نفياً مطلقاً ، فهو مُكذَّب .**

ولو قــال في قوله تعــالى : (بل يــداه مبســوطتان **) [المائـدة : 64] المـراد بيديه : السـماوات والأرض ، فهو كفر أيضــاً لأنه لا مســوغ له في اللغة العربية ، ولا هو مقتضى الحقيقة الشـــــــرعية ، فهو مُنكر ومكذب ، لكن إن قال : المراد باليد النعمة أو القوة ، فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعــني ، قـــال الشاعر :**

وَكَم لِظلام الليل عندك من يَد　　　تُحَدّثُ أنَّ المانَوِيَّةَ تَكذبُ

فقوله **: من يد ، أي : من نعمة ، لأن المانوية يقولون : إن الظلمة لا تخلق الخير ، وإنما تخلق الشر .**

قوله **: "** من الأســــــماء **" . جمع اسم ، واختلف في اشـــتقاقه ، فقيل : من الســـمو ، وهو الارتفـــاع ، ووجه هذا أن المسمي يرتفع باسمه ويتـبين ويظهر .**

وقيل **: من السّـمة وهي العلامة ، ووجهه : أنه علامة على مسماه ، والراجح أنه مشتق من كليهما .**

والمـــــراد بالأســــماء هنا أســــماء الله عز وجل ، وبالصفات صفات الله عز وجل ، والفرق بين الاسم والصــفة أن الاسم ما تســمي به الله والصــفة ما اتصف بها .

- البحث في أسماء الله :

المبحث الأول **:**

أن أســماء الله أعلام وأوصــاف ، وليست أعلامــاً محضة ؛ فهي من حيث دلالتها على ذات الله تعـالى أعلام ، ومن حيث دلالتها على الصفة التي يتضمنها هـذا الاسم أوصـاف ، بخلاف أسـمائنا ، فالإنسـان يســمي ابنه محمــداً وعليـــاً دون أن يلحظ معــني الصفة ، فقد يكون اسمه علياً وهو من أوضع الناس ، أو عبد الله وهو من أكفر النــاس ، بخلاف أســماء الله ، لأنها متضـمنة للمعـاني ، فالله هو العلي لعلو ذاته وصــفاته ، والعزيز يــدل على العــزة ، والحكيم يدل على الحكمة ، وهكذا .

ودلالة الاسم على الصــــــفة تنقسم إلى ثلاثة أقســـــام :

الأول **: دلالة مطابقة ، وهي دلالته على جميع معنـاه المحيط به .**

الثاني **: دلالة تَضَمُّن ، وهي دلالته على جزء معناه .**

الثالث **: دلالة التزام على أمر خارج لازم .**

مثال ذلك **: الخالق يدل على ذات الله وحدات ، وعلى صـفة الخلق وحـدها دلالة تضـمن ، ويـدل على ذات الله وعلى صــفة الخلق فيه دلاله مطابقة ، ويـــدل على العلم والقدرة دلالة التزام .**

كما قال الله تعالى : (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتـــنزل الأمر بينهن لتعلمــوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمـاً) **[الطلاق : 12]ـ ، فَعَلِمْنَا القــدرة من كونه خلق الســماوات والأرض ، وعَلّمنَا العلم من ذلك أيضـــاً ، لأن الخلق لابد فيه من علم ، فمن لا يعلم لا يخلق ، وكيف يخلق شيئاً لا يعلمه ؟ !**

المبحث الثاني :

أن أســـماء الله مترادفة متباينة ، المـــترادف : ما أختلف لفظه واتفق معنــاه ، والمتبــاين : ما اختلف لفظه ومعناه ، فأسماء الله مترادفة باعتبـار دلالتها على ذات الله عز وجل لأنها تدل على مسـمى واحد

، فالسميع ، البصير ، العزيز ، الحكيم ، كلها تدل على شيء واحد هو الله ، ومتباينة باعتبار معانيها ، لأن معنى الحكيم غير معني السميع وغير معني البصير ، وهكذا .

المبحث الثالث :

أسماء الله ليست محصورة بعدد معين ، والدليل على ذلك قوله في حديث ابن مسعود الحديث الصحيح المشهور : " اللهم ! إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك .. – إلى أن قال : أسألك بكل أسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك " [1]**، وما أستأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يُعلَم به ، وما ليس بمعلوم فليس بمحصور .**

وأما قوله : " أن تسعة وتسعين أسماً من أحصاها دخل الجنة " [2]**، فليس معناه أنه ليس له إلا هذه الأسماء ، لكن معناه أن مَن أحصى من أسمائه هذه التسعة والتسعين فإنه يدخل الجنة ، فقوله :** " من أحصاها " **تكميل للجملة الأولى ، وليست استئنافية منفصلة ، ونظير هذا قول القائل : عندي مئة فرس أعدتها للجهاد في سبيل الله ، فليس معناه أنه ليس عنده إلا هذه المئة بل معناه أن هذه المئة مُعدَّة لهذا الشيء .**

المبحث الرابع :

الاسم من أسماء الله يدل على الذات وعلى المعنى كما سبق ، فيجب علينا أن نؤمن به اسماً من الأسماء ، ونؤمن بما تَضَمَّنه من الصفة ، ونؤمن بما تَدُلّ عليه هذه الصفة من الأثر والحكم إن كان الاسم معتدياً ، فمثلاً : السميع نؤمن بأن من أسمائه تعالى السميع ، وأنه دال على صفة السمع ، وأن لهذا السمع حُكماً وأثراً وهو أنه يسمع به ، كما قال تعالى : (قد سمع الله قول التي تجادلك في

---

[1] الإمام أحمد في " المسند " (1/391 ، 452) ، وابن حيان (2372) ، والطيراني في " الكبير " (10352) ، والحاكم (1/509) ، الهيثمي (10/136) ، وقال : " رجال أحمد وأبي يعلي رجال الصحيح " ، وصححه ابن القيم في " شفاء العليل " (277) ، وأحمد شاكر في المسند (3712).

[2] البخاري : كتاب الدعوات / باب لله مائة اسم غير واحد، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء / باب في أسماء الله تعالى .

زوجها وتشتكي إلى الله و الله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) **[المجادلة : 1] ، أما إن كان الاسم غير متعد ، كـــــــالعظيم ، والحي ، والجليل ، فتثبت الاسم والصفة ، ولا حكم له يتعدى إليه .**

المبحث الخامس :

هل أسماء الله تعالى غيره ، أو أسـماء الله هي الله ؟

إن أُريد بالاسم اللفظ الـدال على المســمى ، فهي غـــير الله عز وجل ، وإن أُريد بالاسم مـــدلول ذلك اللفظ ، فهي المسمي .

فمثلاً **: الـــذي خلق الســـماوات والأرض هو الله ، فالاسم هنا هو المُسَـــمَّى ،** فليست " اللام ، والهـــاء " **هي الـــتي خلقت الســـماوات والأرض ، وإذا قيل : اكتب باسم الله . فكتبت بسم الله ، فـــــالمراد به الاسم دون المســـمى ، وإذا قيل : اضـــرب زيـــداً . فضربت زيـداً المكتـوب في الورقة لم تكن ممتثلاً ، لأن المقصود المسـمى ، وإذا قيل : اكتب زيد قـائم فالمراد الاسم الذي هو غير المسمى .**

- البحث في صفات الله :

المبحث الأول :

تنقسم صفات الله إلى ثلاثة أقسام :

الأول **: ذاتية ويقال معنوية .**

الثاني **: فعلية .**

الثالث **: خبرية .**

فالصفات الذاتية **: هي الملازمة لـذات الله ، والـتي لم يــزل ولا يــزال متصــفاً بها ،** مثل **: الســمع والبصر وهي معنوية ، لأن هذه الصفات معانٍ .**

والفعلية **: هي الــتي تتعلق بمشــيئته إن شــاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها ،**

مثل **: الـنزول إلى السـماء الـدنيا ، والاسـتواء على العرش ، والكلام من حيث آحــاده ، والخلق من حيث آحاده ، لا من حيث الأصل ، فأصل الكلام صفة ذاتية ، وكذلك الخلق .**

والخبرية **: هي أبعـــاض وأجـــزاء بالنســـبة لنا ، أما بالنســبة لله ، فلا يقــال هكـذا ، بل يقــال : صــفات خبرية ثبت بها الخـــبر من الكتــاب والســنة ، وهي**

ليست معـــــــنىً ولا فعلاً ، مثل : الوجه ، والعين ، والساق ، واليد .
المبحث الثاني :
الصفات أوسع من الأسـماء ، لأن كل اسم متضـمن لصفة ، وليس كل صفة تكون اسماً ، وهناك صـفات كثيرة تطلق على الله وليست من أسمائه ، فيوصف الله بكلام والإرادة ، ولا يسمي بالمتكلم أو المريد .
المبحث الثالث:
إن كل ما وصف الله به نفسه ، فهو حق على حقيقته ، لكن يـــنزه عن التمثيل والتكــــييف ، أما التمثيل ، فلقوله تعـــالى : ليس كمثله شـــــيء وهو السميع البصير **[الشورى : 11] ، وقوله : (** فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون **) [النمل : 74] ، والتعبـــير بنفي التمثيل أحسن من التعبـــير بنفي التشبيه ، لوجوه ثلاثة :**
أحــدهما **: أن التمثيل هو الـذي جـاء به القـرآن وهو منفي مطلقـاً ، بخلاف التشـبيه ، فلم يـأت القـرآن بنفيه .**
الثـاني **: أن نفي التشـبيه على الإطلاق لا يصح ، لأن كل مَوجـودَيْن فلا بد أن يكـون بينهما قَـدُر مشـترك يشتبهان فيه ويتميز كل واحد بما يختص به ، فــ : " الحيـاة " مثلاً وصف ثـابت في الخـالق والمخلـوق ، فبينهما قـدر مشـترك ، ولكن حيـاة الخـالق تليق به وحياة المخلوق تليق به .**
الثـالث **: أن النـاس اختلفـوا في مسـمى التشـبيه ، حتى جعل بعضـهم إثبـات الصـفات الـتي أثبتها الله لنفسه تشبيهاً ، فإذا قيل من غير تشبيه ، فَهِمَ هذا البعض من هذا القول نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه .**
وأما التكييف ، فلا يجوز أن نُكيِّف صفات الله ، فمن كيَّف صفة من الصـفات ، فهو كـاذب عـاص ، كـاذب لأنه قال بما لا علم عنده فيه ، عاص لأنه واقع فيما نهي كاذب عاص ، كـاذب لأنه قـال بما لا علم عنـده فيه ، عاص لأنه واقع فيما نهي الله عنه وحَرّمه في قوله تعالى : ولا تقف ما ليس لك به علم **[الإسـراء : 36] ، وقوله تعالى : (** وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون **) بعد قوله :** قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما

بطن .. ﴾ [الأعــــــــراف : 33] الآية ، ولأنه لا يمكن إدراك الكيفية ، لقوله تعالى : ﴿يعلم ما بين أيـديهم وما خلفهم ولا يحيطـــون به علمـــاً ﴾ [طه : 110] وقوله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ [الأنعام : 103] .

وسـواء كـان التكـييف باللسـان تعبـيراً أو بالجنـان تقديراً أو بالبيـان تحريـراً ، ولهـذا قـال مالك رحمه الله حين سئل عن كيفية الاستواء : " الكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعه " ، وليس معنى هذا أن لا نعتقد أن لها كيفية ، بل لها كيفية ، ولكنها ليست معلومة لنا ، لأن ما ليس له كيفية ليس بموجـــود ، فالاســـتواء والـــــنزول واليد والوجه والعين لها كيفية ، لكننا لا نعلمها ، ففــــــــرق بين أن نثبت كيفية معينه ولو تقديراً وبين أن نؤمن بــأن لها كيفية غــير معلومة ، وهـذا هو الـواجب ، فنقـول : لها كيفية ، لكن غـير معلومة .

فإن قيل : كيف يُتَصَوَّر أن نعتقد للشيء كيفية ونحن لا نعلمها ؟

أجيب : إنه متصـــور ، فالواحد منا يعتقد أن لهــــذا القصر كيفية من داخله ، ولكن لا يعلم هـذه الكيفية إلا إذا شاهدها ، أو شاهد نظيرها ، أو أخبره شـخص صادق عنها .

***

وقوله الله تعالى : (وهم يكفرون بالرحمن) [الرعد : 30] الآية .قوله تعالى : (وهم يكفرون بالرحمن) الآية :

(وهم) . أي : كفار قريش .

(يكفــرون بــالرحمن) . المــراد أنهم يكفــرون بهـذا الاسم لا بالمسمي ، فهم يُقرِّون به ، قال تعـالى :﴿ ولئن ســـألتهم من خلق الســـماوات والأرض ليقـــولن الله ﴾[لقمان : 25] ، وفي حديث سـهيل بن عمر : " لما أراد النبي ﷺ أن يكتب الصـلح في غـزوة الحديبية قال للكاتب : " اكتب بسم الله الـرحمن الـرحيم " ، قال سهيل : أما الـرحمن ، فو الله ما أدري ما هي ولكن اكتب باسمك اللهم " [1]، وهذا من الأمثلة التي يراد بها الاسم دون المسمى .

---

[1] البخاري : كتاب الشروط / باب الشروط في الجهاد .

وقد قـال الله تعـالى : ﴿ قل أدعـوا الله الـرحمن أيـاً ما تدعوا فله الأسـماء الحسـني ﴾ [الإسراء : 110] ، أي : بــأي اسم من أســمائه تدعونه ، فــإن له الأســماء الحسنى ، فكل أسمائه حسـنى ، فـادعوا بما شـئتم من الأسماء ، ويراد بهذا الآية الإنكار على قريش .
وفي الآية دليل على أن من أنكر اســماً من أســماء الله تعالى فإنه يكفر ، لقوله تعالى : ﴿ وهم يكفـرون بالرحمن ﴾[الرعد : 30] ، ولأنه مكذب لله ولرسوله ، وهذا كفر ، وهذا وجه استشهاد المؤلف بهذه الآية .
قوله : (لا إله إلا هو) . خـــــبر " لا " النافية للجنس محــذوف ، والتقــدير : لا إله حق إلا هو ، وأما الإله الباطل ، فكثير ، قـال تعـالى : ﴿ ذلك بـأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴾ [لقمان : 30] .
قوله : (عليه تـوكلت) . أي عليه وحـده ، لأن تقـديم المعمول يدل على الحصر ، فإذا قلت مثلاً : " ضربت زيداَ " فإنه يدل على أنك ضربته ، ولكن لا يـدل على أنك لم تضرب غيره ، وإذا قلت : " زيداً ضربت " دلت على أنك ضـربت زيـداً ولم تضـرب غـيره ، وسـبق معنى التوكل وأحكامه .
قوله : (وإليه متــــاب) . أي : إلى الله . و(متــــاب) أصـلها متـابي ، فحـذفت اليـاء تخفيفـاً ، والمتـاب بمعني التوبة ، فهو مصدر ميمي ، أي : وإليه توبتي .
والتوبة : هي الرجــوع إلى الله تعــالى من المعصــية إلى الطاعة ، ولها شروط خمسة :
1- الإخلاص لله تعــالى بــأن لا يحمل الإنســان على التوبة مراعاة أحد أو محاباته أو شيء من الدنيا .
2- أن تكــــون في وقت قبــــول التوبة ، وذلك قبل طلوع الشمس من مغربها ، وقبل حضور المــوت .
3- النـدم على ما مضى من فعله ، وذلك بـأن يشـعر بالتحسر على ما سبق ويتمنى أنه لم يكن .
4- الإقلاع عن الذنب ، وعلى هذا ، فإذا كـانت التوبة من مظـــالم الخلق ، فلابد من رد المظـــالم إلى أهلها أو استحلالهم منها .
5- العزم على عدم العودة ، والتوبة التي لا تكون إلا لله هي توبة العبــادة ، كما في الآية الســابقة ،

وأما التوبة التي بمعنى الرجـوع ، فإنها تكـون له ولغـيره ، ومنه قـول عائشة حين جـاء النـبي فوجد نمرقة فيها صـــور ، فوقف بالبــــاب ولم يدخل ، وقـالت : " أتـوب إلى الله ورسـوله ولا لغـيره من الخلق بل لله وحـده ، ولكن هـذه توبة رجوع ، ومن ذلك أيضاً حين يضـرب الإنسـان ابنه لسوء أدبه ، يقول الابن : أتوب .

وفي " صـحيح البخـاري " : قـال علي " حـدثوا النـاس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ! " [1].

قوله في أثر على رضي الله عنه : " حدثوا النـاس " **. أي : كلموهم بالمواعظ وغير المواعظ .**

قوله : " بما يعرفـــون " **. أي بما يمكن أن يعرفـــوه وتبلغه عقولهم حتى لا يفتتنوا ، ولهـذا جـاء عن ابن مسـعود رضي الله عنه ، قـال :** " أنك لن تحـدث قومـاً حـديثاً لا تبلغه عقـولهم إلا كـان لبعضـهم فتنة " [2]**، ولهـذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تبـاغت النـاس بما لا يمكنهم إدراكه ، بل تـــدعوهم رويـــداً رويـــداً حـــتى تستقر عقولهم ، وليس معنى** " بما يعرفــون " **، أي : بما يعرفونه من قبل ، لأن الـــذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل .**

قوله : " أتريدون أن يكذب الله ورسوله **؟ ! " الاستفهام للإنكـــار ، أي : أتريـــدون إذا حـــدثتم النـــاس بما لا يعرفون أن يكذب الله ورسوله ، لأنك إذا قلت : قال الله وقـال رسـوله كـذا وكـذا ، قـالوا هـذا كـذب إذا كـــانت عقـــولهم لا تبلغه ، وهم لا يكـــذبون الله ورسـوله ، ولكن يكـذبونك بحـديث تنسـبه إلى الله ورسوله ، فيكونون مكذبين لله ورسوله ، لا مباشرة ولكن بواسطة الناقل .**

فإن قيل **: قل ندع الحديث بما لا تبلغه عقول النـاس وإن كانوا محتاجين لذلك ؟**

أجيب **: لا ندعه ، ولكن نحــــــــدثهم بطريق تبلغه عقــولهم ، وذلك بـــأن ننقلهم رويــداً رويــداً حــتى يتقبلـوا هـذا الحـديث ويطمئنـوا إليه ، ولا نـدع ما لا**

---

[1] البخاري : كتاب العلم /باب من خص بالعلم قوماً دون قوم .
[2] البخاري : كتاب النكاح / باب هل يرجع إذا رأي منكراً في الدعوة .

تبلغه عقولهم ونقول : هذا شـيء مسـتنكر لا نتكلم به .
ومثل ذلك العمل بالسـنة الـتي لا يعتادها النـاس ويستنكرونها ، فإننا نعمل بها ولكن بعد أن نخـبرهم بها ، حتى تقبلها نفوسهم ويطمئنوا إليها .
ويسـتفاد من هـذا الأثر أهمية الحكمة في الـدعوة إلى الله عز وجل ، وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين وينزل كل إنسان منزلته .

- مناسبة هذا الأثر لباب الصفات :

مناسـبته ظـاهرة ، لأن بعض الصـفات لا تحتملها أفهام العامة فيمكن إذا حـدثتهم بها كـان لـذلك أثر سيئ عليهم ، كحديث النزول إلى السـماء الـدنيا مع ثبوت العلو، فلو حَدّثت العاميّ بأنه نفسه يـنزل إلى السماء الدنيا مع علوه على عرشـفه، فقد يفهم أنه إذا أنـزل؛ صـارت السـماوات فوقه وصـار العـرش خاليـاً منـه، وحينئذ لا بد في هـذا من حـديث تبلغه عقولهم فَتُبين لهم أن الله عز وجل يـنزل نـزولاً لا يماثله نزول المخلوقين مع علـوه على عرشـه، وأنه لكمـال فضـله ورحمته يقـول: "من يـدعوني فأستجيب له.." الحديث. والعـامي يكفيه أن يتصـور مطلق المعنى ، وأن المراد بذلك بيان فضل الله عز وجل في هذه الساعة من الليـل. وَرَوَى عبد الـرزاق ، عن معمر ، عن ابن طـاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : " أنه رأى رجلاً انتفض لما سـمع حـديثاً عن النبي في الصـفات ، اسـتنكار لـذلك ، فقـال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمة ، ويهلكون عند متشابهة ؟ ! " انتهى [1].

قوله في أثر ابن عبـاس : " انتفض " . أي اهـتز جسـمه ، والرجل مبهم ، والصفة الـتي حُـدث بها لم تـبين ، وبيـان ذلك ليس مهمـاً ، وهـذا الرجل انتفض اسـتنكاراً لهـذه الصـفة لا تعظيماً لله ، وهذا أمر عظيم صعب ، لأن الواجب على المرء إذا صح عنـده شـيء عن الله ورسـوله أن يقر به ويصـدق ليكـون طريقه طريق الراسـخين في العلم حـتى وإن لم يسمعه من قبل أو يتصوره .

---

[1] البخاري : كتاب / التهجد / باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ومسلم : صلاة المسافرين / باب الترغيب في الدعاء .

قوله : " ما فرق **" . فيها : ثلاث روايات :**
1- " فرَقُ **" ، بفتح الراء ، وضم القاف .**
2- " فرَّق **" ، بفتح الراء مشددة وفتح القاف .**
3- " فرَقَ **" ، بفتح الراء مخففة ، وفتح القاف .**
فعلى رواية " فرق **" تكون "** ما **" استفهامية مبتـدأ ، و"** فـرق **" : خـبر المبتـدأ أي : ما خـوف هـؤلاء من إثبـات الصـفة الـتي تليت عليهم وبلغتهم ، لمـاذا لا يثبتونها لله عز وجل كما أثبتها الله لنفسه وأثبتا له رســوله ؟ وهــذا ينصب تمامــاً على أهل التعطيل والتحريف الــذين ينكــرون الصــفات ، فما الــذي يخوفهم من إثباتها والله تعالى قد أثبتها لنفسه ؟**
وعلي رواية " فـرق **" أو "** فـرق **" تكـون فعلاً ماضـياً بمعني ما فـرقهم ، كقوله تعـالى :** ﴿ وقرآنـاً فرقنـاه ﴾ **[الإسراء : 106] ، أي : فرقناه . و"** ما **" يحتمل أن تكـون نافية ، والمعـنى : ما فـرق هـؤلاء بين الحق والباطل ، فجعلـوا هـذا من المتشـابه وأنكـروه ولم يحملوه على المحكم ، ويحتمل أن تكون استفهامية والمعــني : أي شــيء فــرقهم فجعلهم يؤمنــون بالمحكم ويهلكون عند المتشابه ؟**
قوله : " يجــــــــدون رقة عند محكمة **" . الرقة : اللين والقبول ، و "** محكمه **" ، أي : محكم القرآن .**
قوله : " ويهلكون عند متشابه **" . أي : متشـابه القـرآن .**
والمحكم الـذي اتضح معنـاه وتـبين ، والمتشـابه هو الذي يخفي معناه ، فلا يعلمه الناس ، وهذا إذا جمع بين المحكم والمتشابه ، وأما إذا ذكر المحكم مفرداً دون المتشابه ، فمعناه المتقن الـذي ليس فيه خلل : لا كـذب في أخبـاره ، ولا جـور في أحكامه ، قـال تعــالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صــدقاً وعــدلاً ﴾**[الأنعــام : 115] ، وقد ذكر الله الإحكــام في القــرآن دون المتشابه ، وذلك مثل قوله تعالى :** ﴿ تلك آيـات الكتـاب الحكيم ﴾ **[يونس : 1] ، وقال تعالى :** ﴿كتـاب أحكمت آياته ﴾ **[هود : 1].**
وإذا ذكر المتشــابه دون المحكم صــار المعــنى أنه يشبه بعضه بعضاً في جودته وكماله ، ويصدق بعضه بعضــاً ولا يتنــاقض ، قــال تعــالى ﴿ الله نــزل أحسن

الحديث كتاباً متشابهاً مثاني **[الزمر : 23] ، والتشابه نوعان : تشابه نسبي ، وتشابه مطلق .**
والفـــــــرق بينهما **: أن المطلق يخفى على كل أحد ، والنسبي يخفي على أحد دون أحد ، وبناء على هـذا التقسـيم ينبـني الوقف في قوله تعـالى :** وما يعلم تأويله إلا الله والراسـخون في العلم **[آل عمـران : 7] فعلى الوقـــوف على (** إلا الله **) يكـــون المـــراد بالمتشـــــــابه المطلق ، وعلى الوصل (** إلا الله والراســخون في العلم **) يكــون المــراد بالمتشـــابه المتشابه النسبي ، وللسلف في ذلك قولان :**
القـــول الأول **: الوقف على (** إلا الله **) ، وعليه أكـــثر السلف ، وعلى هذا ، فـالمراد بالمتشـابه المتشـابه المطلق الــــذي لا يعلمه إلا الله ، وذلك مثل كيفية وحقـائق صـفات الله ، وحقـائق ما أخـبر الله به من نعيم الجنة وعذاب النار ، قـال الله تعـالى في نعيم الجنة :** فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قـــــــــرة أعين **[السجدة : 17] ، أي : لا تعلم حقائق ذلك ، ولذلك قال ابن عباس : "** ليس في الجنة شيء مما في الدنيا **إلا** الأسماء **"** [1]**.**
والقـول الثـاني **: الوصل ، فيقـرأ : (** إلا الله والراسـخون في العلم **) ، وعلى هذا، فالمراد بالمتشابه المتشـابه النسبي ، وهـذا يعلمه الراسـخون في العلم ويكـون عند غيرهم متشابهاً ، ولهذا يـروي عن ابن عبـاس ، أنه قال : "** أنا من الراسخين في العلم الذي يعلمون تأويله **"** [2]**. ولم يقل هـــذا مـــدحاً لنفسه أو ثنـــاء عليها ، ولكن ليعلم الناس أنه ليس في كتـاب الله شـيء لا يعـــرف معنـــاه ، فـــالقرآن معانيه بينة ، لكن بعض القرآن يشتبه على نـاس دون آخـرين حـتى العلمـاء الراسخون في العلم يختلفـون في معـنى القـرآن ، وهذا يدل على أنه خفي على بعضهم ، والصواب بلا شك مع أحـدهم إذا كـان اختلافهم اختلاف تضـاد لا تنوع ، أما إذا كانت الآية تحتمل المعنـيين جميعـاً بلا**

---

[1] ابن حزم في " الفصل " (2/108) – وقال "هذا سند غاية في الصحة " . وقال المنذري في " الترغيب " (4/560) : " رواه البيهقي موقوفاً بإسناد جيد " .
[2] أنظر قوله في : " تفسير الطبري " (3/183)

منافـــاة ولا مـــرجح لأحـــدهما ، فإنها تحمل عليهما جميعاً .
وبعض أهل العلم يظنون أن في القـرآن ما لا يمكن الوصول إلى معناه ، فيكون من المتشـابه المطلق ، ويحملون آيات الصـفات على ذلك ، وهـذا من الخطأ العظيم ، إذ ليس من المعقول أن يقول الله تعـالى : ﴿ كتـاب أنزلنـاه مبـارك ليـدبروا آياته ﴾ **[ص: 29] ، ثم تســتثني الصــفات وهي أعظم وأشــرف موضــوعاً وأكثر من آيات الأحكام ، ولو قلنا بهذا القول ، لكان مقتضـاه أن أشـرف ما في القـرآن موضـوعاً يكـون خفياً ، ويكون معنى قوله تعالى : (** ليدبوا آياته **) ، أي : آيات الأحكام فقط ، وهذا غـير معقـول ، بل جميع القرآن يفهم معناه ، إذا لا يمكن أن تكون هذه الأمة من رسول الله ﷺ إلى آخرها لا تفهم معـني القـرآن ، وعلي رأيهم يكـــون الرســـول ﷺ وأبو بكر وعمر وجميع الصــحابة يقــرؤون آيــات الصــفات وهم لا يفهمــون معناها ، بل هي عنــدهم بمنزلة الحــروف الهجائية أ ، ب ، ت .. والصواب أنه ليس في القرآن شيء متشابه على جميع النـاس من حيث المعـنى ، ولكن الخطأ في الفهم .**
فقد يقصر الفهم عن إدراك المعـني أو يفهمه على معنى خطأ ، وأما بالنسبة للحقـائق ، فما أخــبر الله به من أمر الغيب ، فمتشابه على جميع الناس .

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن ، أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم : (وهم يكفرون بالرحمن) [الرعد : 30] " [1].

قوله : " ولما سمعت قريش رسول الله يـذكر الـرحمن **" .**
أصل ذلك أن سهيل بن عمـرو أحد الـذين أرسـلتهم قــريش لمفاوضة النــبي ﷺ في صــلح الحديبية وأمر النبي صــلى الله عليه وســلم أن يكتب : " بسم الله الرحمن الرحيم " ، فقال **" أما الرحمن ، فلا والله ما أدري ما هي : وقـــالوا : إننا لا نعـــرف رحمانـــاً إلا رحمن اليمامة . فـــأنكروا الاسم دون المســـمى ، فأنزل الله : (** وهم يكفرون بالرحمن **) ، أي بهذا الاسم من أسماء الله .**

---

[1] ابن جرير الطبري في " التفسير " (20397).

وفي الآية دليل على أن من أنكر اسماً من أسماء الله الثابتة في الكتاب أو السنة ، فهو كافر لقوله تعالى : (وهم يكفرون بالرحمن **) .**

وقوله : " ولما سمعت قريش " **. الظاهر والله أعلم أنه من باب العام الذي أريد به الخاص ، وليس كل قريش تنكر ذلك ، بل طائفة منهم ، ولكن إذا أقرت الأمة الطائفة على ذلك ولم تنكر ، صح أن ينسب لهم جميعاً ، بل أن الله نسب إلى اليهود في زمن النبي ما فعله أسلافهم في زمن موسى عليه السلام ، قال تعالى (** وإذ آخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة **) [البقرة : 63] ، وهذا لم يكن في عهد المخاطبين .**

- فيه مسائل :

الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات . الثانية : تفسير آية الرعد . الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع . الرابعة : ذكر العلة : أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر . الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه أهلكه .

قوله فيه مسائل **:**

الأولى **: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات . عدم بمعنى انتفاء أي : انتفاء الإيمان بسبب جحد شيء من الأسماء والصفات ، وسبق التفصيل في ذلك .**

الثانية : تفسير آية الرعد . وهي قوله تعالى : (وهم يكفرون بالرحمن **) . وسبق تفسيرها .**

الثالثة **: ترك التحديث بما لا يفهم السامع . وهذا ليس على إطلاقه ، وقد سبق التفصيل فيه عند شرح الأثر .**

الرابعة **: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر .**

وهي أن الذي لا يبلغ عقله ما حدث به يفضي به التحديث إلى تكذيب الله ورسوله ، فيكذب ويقول : هذا غير ممكن ، وهذا يوجد من بعض الناس في أشياء كثيرة مما أخبر به النبي مما يكون يوم القيامة ، كما أخبر النبي : " إن الأرض يوم القيامة تكون خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته

" [1]، وما أشـــبه ذلك ، وكما أن الصـــراط أحد من السيف وأدق من الشعرة وغير هذه الأمور لو حـدثنا بها إنســـاناً عاميــــاً لأوشك أن ينكر ، لكن يجب أن تبين له بالتدريج حتى يتمكن من عقلها مثل ما نعلم الصبي شيئاً فشيئاً .

وقوله : " ولو لم يتعمد المنكر **" . أي : ولو لم يقصد المنكر تكذيب الله ورسوله ، ولكن كـذب نسـبة هـذا الشيء إلى الله ورسوله ، وهذا يعود بالتالي إلى رد خبر الله ورسوله .**

الخامسة **: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك وأنه أهلكه . وذلك قوله : "** ما فرق هؤلاء ؟ يجـدون رقة أي ليناً عند محكمه فيقبلونه ، ويهلكون عند متشـابه فينكرونه **؟ " .**

******

---

[1] البخاري : كتاب الرفاق / باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين / باب منزل أهل الجنة .

باب قول الله تعالى
﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾(النحل:83)

قوله تعالى : ﴿ **يعرفون** ﴾ . أي : يدركون بحواسهم أن النعمة من عند الله .
قوله : ﴿ **نعمة الله** ﴾ . واحدة والمراد بها الجمع ، فهي ليست واحدة ، بل هي لا تحصى ، قال تعالى : ﴿ **وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [إبراهيم : 34] ، والقاعدة الأصولية : أن المفرد المضاف يعم ، والنعمة تكون بجلب المحبوبات ، وتطلق أحياناً على رفع المكروهات .
قوله : ﴿ **ثم ينكرونها** ﴾ . أي : ينكرون إضافتها إلى الله لكونهم يضيفونها إلى السبب متناسين المسبب الذي هو الله – سبحانه - ، وليس المعنى أنهم ينكرون هذه النعمة ، مثل أن يقولوا : ما جاءنا مطر أو ولد أو صحة ، ولكن ينكرونها بإضافتها إلى غير الله ، متناسبين الذي خلق السبب فوجد به المسبب .
قوله : " **الآية** " . أي : إلى آخر الآية ، وهي منصوبة بفعل محذوف تقديره أكمل الآية .
قوله ﴿ **وأكثرهم الكافرون** ﴾ . أي أكثر العارفين بأن النعمة من الله الكافرون ، أي الجاحدون كونها من الله ، أو الكافرون بالله عز وجل .
وقوله : ﴿ **أكثرهم** ﴾ بعد قوله : ﴿ **يعرفون** ﴾ الجملة الأولى أضافها إلى الكل ، والثانية أضافها إلى الأكثر ، وذلك لأن منهم من هو عامي لا يعرف ولا يفهم ، ولكن أكثرهم يعرفون ثم يكفرون .

- **مناسبة هذا الباب للتوحيد** :

أن من أضاف نعمة الخالق إلى غيره ، فقد جعل معه شريكاً في الربوبية ، لأنه أضافها إلى السبب على أنه فاعل ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر : أنه لم يقم بالشكر الذي هو عبادة من العبادات ، وترك الشكر مناف للتوحيد ، لأن الواجب أن يشكر الخالق المنعم – سبحانه وتعالى - ، فصارت لها صلة بتوحيد الربوبية وبتوحيد العبادة إضافتها إلى السبب على أنه فاعل هذا إخلال بتوحيد الربوبية ، ومن حيث ترك القيام بالشكر الذي هو العبادة هذا إخلال بتوحيد الألوهية .

قال مجاهد ما معناه : " هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي " .

قوله : " **قال مجاهد** " . هو إمام المفسرين في التابعين ، عرض المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما يوقفه عن كل آية ويسأله عن تفسيرها ، وقال سفيان الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، أي : كافيك ، ومع هذا ، فليس معصوماً عن الخطأ .
قوله : " **ما معناه** " . أي : كلاماً معناه ، وعلى هذا فـ " ما " : نكرة موصوفة ، وفيه أن الشيخ رحمة الله لم ينقله بلفظه .
قوله : " **هو قول الرجل** " . هذا من باب التغليب والتشريف ، لأن الرجل أشرف من المرأة وأحق بتوجيه الخطاب إليه منها ، وإلا ، فالحكم واحد .

قوله : " **هذا مالي ورثته عن آبائي** " . ظاهر هذه الكلمة أنه لا شيء فيها ، فلو قال لك واحد : من أين لك هذا البيت ؟ قلت : ورثته عن آبائي ، فليس فيه شيء لأنه خبر محض .

لكن مراد مجاهد أن يضيف القائل تملكه للمال إلى السبب الذي هو الإرث متناسياً المسبب الذي هو الله ، فبتقدير الله – عز وجل – أنعم على آبائك وملكوا هذا البيت ، وبشرع الله – عز وجل – انتقل هذا البيت إلى ملكك عن طريق الإرث - ، فكيف تتناسي المسبب للأسباب القدرية والشرعية فتضيف الأمر إلى ملك آبائك وإرثك إياه بعدهم ؟ !

فمن هنا صار هذا القول نوعاً من كفر النعمة .

أما إذا كان قصد الإنسان مجرد الخبر كما سبق ، فلا شيء في ذلك

ولهذا ثبت أن النبي

الثالثة : أن يضـيفه إلى سـبب ظـاهر ، لكن لم يثبت كونه سـبباً لا شرعاً ولا حساً ، فهذا نـوع من الشـرك الأصـغر ، وذلك مثل : التوله ، والقلائد التي يقال أنها تمنع العين ، وما أشبه ذلك ، لأنه أثبت سـبباً لم يجعله الله سببا ، فكان مشاركاً لله في إثبات الأسباب .

علي إخوانهم لقتلت نفسي ولولا كثرة الباكين حولي

أسلي النفس عنه بالتأسي وما يبكون مثل أخي ولكن

وابن القيم رحمه الله – وإن كان قول العالم ليس بحجة لكن يستأنس به – قال في القصيدة اليمية يمدح الصحابة :

ولولا همو ما كان في الأرض أولئك أتباع النبي وحزبه مسلم

---

[1] البخاري : كتاب الحج / باب توريث دور مكة وبيعها ، ومسلم : كتاب الحج / باب النزول بمكة للحجاج .

[1] البخاري : كتاب فضائل الصحابة / باب قصة أبي طالب ومسلم : كتاب الإيمان / باب شفاعة النبي

ولكن رواسيها وأوتادها هم ولولا همو كادت تميد بأهلها
ولكن همو فيها بدور وأنجم ولولا همو كانت ظلاماً بأهلها

فأضاف (لولا) إلى سبب صحيح .

قوله : " وقال ابن قتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا " . هؤلاء أخبث ممن سبقهم ، لأنهم مشركون يعبدون غير الله ، ثم يقولون : إن هذا النعم حصلت بشفاعة آلهتهم ، فالعزى مثلاً شفعت عند الله أن ينزل المطر ، فهؤلاء أثبتوا سبباً من أبطل الأسباب لأن الله – عز وجل – لا يقبل شفاعة ألهتهم ، لأن الشفاعة لا تنفع إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ، والله – عز وجل – لا يأذن لهذه الأصنام بالشفاعة ، فهذا أبطل من الذي قبله لأن فيه محذورين :

1- الشرك بهذه الأصنام
2- إثبات سبب غير صحيح

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : " أن الله تعالى قال : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر .. " الحديث [1]) ، وقد تقدم : - " وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به " .

قوله : " **وقال أبو العباس** " . هو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

قوله : " وهـذا كثـير في الكتـاب والسـنة يـذم سـبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره .. " وذلك مثل الاستسقاء بالأنواء ، وإنما كـان هـذا مـذموماً ، لأنه لو أتى إليك عبد فلان بهدية من سيده فشكرت العبد دون السيد ، كان هذا سوء أدب مع السـيد وكفرانـاً لنعمته ، وأقبح من هـذا لو أضـفت النعمة إلى السبب دون الخالق ، لما يأتي :

1- أن الخالق لهذه الأسباب هو الله ، فكان الواجب أن يشكر وتضاف النعمة إليه .
2- أن السبب قد لا يؤثر ، كما ثبت في " صحيح مسلم " أنه [illegible] :
" [illegible] "[1].
3- [illegible]

[illegible]

[illegible]

- [illegible] :

[illegible]

[illegible] :

---

[1] (ص 519) .

[1] مسلم : كتاب الفتن / باب في سكني المدينة .

- **[illegible]** : [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] : [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] : [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] : **[illegible]** [illegible] .

***

[illegible] :

[illegible] [[illegible] : 22]

- قوله : [illegible] .

لما ذكر سبحانه ما يقر به هؤلاء من أفعاله التي لم يفعلها غيره : [illegible]

[illegible] [البقرة : 21، 22] ، فكل من أقر بذلك لزمه أن لا يعبد إلا المقر له ، لأنه لا يستحق العبادة من لا يفعل ذلك ، ولا ينبغي أن يعبد إلا من فعل ذلك ، ولذلك أتى بالفاء الدالة على التفريع والسببية ، أي : فبسبب ذلك لا تجعلوا لله أنداداً .

و[illegible] هذه ناهية ، أي : فلا تجعلوا له أنداداً في العبادة ، كما أنكم لم تجعلوا له أنداداً في الربوبية ، وأيضاً لا تجعلوا له أنداداً في أسمائه وصفاته ، لأنهم قد يصفون غير الله بأوصاف الله – عز وجل - ، كاشتقاق العزى من العزيز ، وتسميتهم رحمن اليمامة .

[illegible] : [illegible] . جمع ند ، وهو الشبيه والنظير ، والمراد هنا : أنداداً في العبادة.

[illegible] : [illegible] . الجملة في موضع نصب حال من فاعل تجعلوا ، أي : والحال أنكم تعلمون ، والمعني : وأنتم تعلمون أنه لا أنداد له – يعني في الربوبية - ، لأن هذا محط التقبيح من هؤلاء أنهم يجعلون له أنداداً وهم يعلمون أنه لا أنداد له في الربوبية ، أما في الألوهية ، فيجعلون له أنداداً ، قالوا للنبي [illegible] : [illegible]

[illegible] [ص : 5] [illegible]

[illegible]

[illegible] – [illegible] – [illegible] .

[illegible] : " [illegible] " [illegible] " **(1)**.

قوله : " [illegible] " . أي : في تفسيرها .

قوله : " [illegible] " . هذا تفسير بالمراد ، لأن التفسير تفسيران .

1- تفسير بالمراد ، وهو المقصود بسياق الجملة بقطع النظر عن مفرداتها .
2- تفسير بالمعني ، وهو الذي يسمى تفسير الكلمات ، فعندنا الآن وجهان للتفسير :

أحدهما : التفسير اللفظي وهو تفسير الكلمات ، هذا يقال فيه : معناه كذا وكذا .

[illegible] : التفسير بالمراد ، فيقال ، المراد بكذا وكذا ، والأخير هنا هو المراد .

فإذا قلنا : الأنداد الأشياه والنظراء ، فهو تفسير بالمعنى وإذا قلنا الأنداد الشركاء أو الشرك فهو تفسير بالمراد ، يقول رضي الله عنه :

---

(1) ابن أبي حاتم ، كما في " تفسير ابن كثير " (1/63) .

" الأنداد هو الشرك " فإذاً الند الشريك الشمارك لله _ سبحانه وتعالى _ فيما يختص به .

[illegible] : " [illegible] " . أي : أثر دبيب النمل – وليس فعل النمل .

[illegible] : " [illegible] " هي الصخرة الملساء .

وقوله : " سوداء " . وليس على بيضاء ، إذ لو كان على بيضاء ، لبان أثر السير أكثر .

[illegible] : " [illegible] " . وهذا أبلغ ما يكون في الخفاء .

فإذا كان الشرك في قلوب بني آدم أخفى من هذا ، فتسأل الله أن يعين على التخلص منه ، ولهذا قال بعض السلف : " ما عالجت نفسي معالجتها على الإخلاص " . ويروى عن النبي [illegible]

[illegible] (1).

[illegible]

[illegible] (2) [illegible]

[illegible]

[illegible] (1).

حسب ما يكون في قلب الشخص من نوع هذا الشريك .

[illegible] : " [illegible] " . صوابه عن ابن عمر ، نبه عليه الشارح في " تيسير العزيز الحميد ".

---

(1) الإمام أحمد في المسند (4/403) .

(2) تقدم (ص 787)

(1) الإمام أحمد في " المسند " (2/34 ، 86) ، وأبو داود : كتاب الإيمان / باب كراهية الحلف بالآباء ، والترمذي : كتاب الأيمان / باب ما جاء في كراهة الحلف بغير الله وحسنه ، وابن حبان (1177) ، والحاكم (1/18، 4/297) – وصححه ، ووافقه الذهبي – وصححه سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز في " الفتاوي " (5/307) .

قوله في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : " [illegible] " . " [illegible] " : شرطية ، فتكون للعموم .

قوله : " [illegible] " . شك من الراوي ، والظاهر أن صواب الحديث " أشرك " .

وقوله : " [illegible] " . يشمل كل محلوف به سوى الله ، سواء بالكعبة أو الرسول [illegible]

[illegible] [[illegible] : 109] [illegible]

[illegible] [النساء : 116]

[illegible]

[illegible] [الشمس : 1] [illegible] [البلد : 1] [illegible] [الليل : 1] [illegible]

[illegible]

[illegible] " [illegible] " (1).

[illegible]

[illegible] [المائدة : 89] [illegible]

[illegible]

(1) مسلم : كتاب الإيمان / باب بيان الصلوات التي هي أحد الأركان الإسلام .

[illegible] (1) .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] .

[illegible] : [illegible] " [illegible] " (2) .

[illegible] (1) [illegible] .

وأما الرابع ، فــدعوى الخصوصــية تحتــاج إلى دليل ، وإلا ، فالأصل التأسي به .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : " [illegible] " (1)

قوله في أثر ابن مسعود : " [illegible] " . اللام : لام الابتداء ، و " [illegible] " مصدرية ، فيكون قوله : " [illegible] " مؤولاً بمصدر مبتدأ تقديره لحلفي بالله .

قوله : " أحب إلى " . خبر المبتدأ ، ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى : ﴿ **وأن تصوموا خير لكم** ﴾ [البقرة : 184] .

قوله : " كاذباً " حال من فاعل أحلف .

[illegible] : " [illegible] " . هذا من باب التفضيل الذي ليس فيه شيء من الجانبين ، وهذا نادر في الكلام ، لأن التفضيل في الأصل يكون فيه المعنى ثابتاً في المفضل وفي المفضل عليه ، وأحياناً في المفضل دون المفضل عليه ، وأحياناً لا يوجد في الجانبين ، فابن مسعود رضي الله عنه لا يحب لا هذا ولا هذا ، ولكن الحلف بالله كاذباً أهون عليه من الحلف بغيره صادقاً ، **فالحلف كاذباً محرم من وجهين .**

1- أنه كذب ، والكذب محرم لذاته .
2- أن هذا الكذب قرن باليمين ، واليمين تعظيم لله – عز وجل ، فإذا كان على كذب صار فيه شيء من تنقص الله – عز وجل ، حيث جعل اسمه مؤكداً لأمر كذب ، ولذلك كان الحلف بالله كاذباً عند بعض أهل العلم من اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار.

وأما الحلف بغير الله صادقاً ، فهو محرم من وجه واحد وهو الشرك ، لكن سيئة الشرك أعظم من سيئة الكذب ، وأعظم من سيئة الحلف

---

(1) مسلم : كتاب الجنائز / باب استئذان النبي ﷺ [illegible] .

(2) مسلم : كتاب الزكاة / باب أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح .

( ) ونصه : " حلفت مرة باللات والعزي ، فقال النبي ﷺ : "[illegible]" [illegible] (1/ 183 ، 186 ، 187) [illegible] (2097).

(1) سبق (ص 606) .

بالله كاذباً ، وأعظم من اليمين الغموس إذا قلنا : إن الحلف بالله كاذباً من اليمين الغموس ، لأن الشرك لا يغفر ، قال تعالى ﴿ ... ﴾ [النساء : 116] ، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا لإبطال الشرك ، فهو أعظم الذنوب ، قال تعالى : ﴿ ... ﴾ [لقمان : 13] ، وسئل النبي ﷺ : ... [1]

... [1]

...

[البقرة : 104] ... [1]

...

---

[1] البخاري : كتاب التوحيد / باب قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾

[1] الإمام أحمد في " المسند " (5/ 384) ، وأبو داود : كتاب الأدب / باب لا يقال : خبثت نفسي والطيالسي (430) ، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (991) . قال النووي في " الأذكار " (308) : " إسناده صحيح " .

[1] البخاري : كتاب البيوع / باب إذا أراد بيع تمر بتمر ، ومسلم : كتاب المساقاة / باب بيع الطعام مثلاً بمثل.

الأولى : تفسـير آية البقـرة في الأنـداد . الثانية : أن الصـحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشـرك الأكـبر أنها تعم الأصـغر . الثالثة : أن الحلف بغـير الله شـرك . الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكـبر من اليمين الغمـوس . الخامسة : الفرق بين الواو و (**ثم**) في اللفظ .

فيه مسائل

[1] سبق تخريجه ، (ص ــ) .

***

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

[illegible]

(1)

[illegible]

(2)

[illegible]

[50 : [illegible]]

[illegible]

---

(1) البخاري : كتاب الأدب / باب إكرام الكبير ، ومسلم : كتاب القسامة ، باب القسامة .

(2) ابن ماجة : كتاب الكفارات / باب من حلف له بالله فليرض ، وقال البوصيري في " مصباح الزجاجة " (2/143) : " هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقاة " ، وقاله ابن حجر في " الفتح " (11/535) : " سنده حسن " .

[illegible] : [illegible] . **[illegible] :** [illegible] .
[illegible] : [illegible] .

- **[illegible]**
- **[illegible] :** [illegible] . [illegible] " [illegible] " [illegible] . [illegible]
- **[illegible] :** [illegible] . [illegible] : " [illegible] " [illegible] .
- **[illegible] :** [illegible] . [illegible] : " [illegible] " .
- **[illegible] :** [illegible] !

[illegible] : [illegible] .

[illegible] :

[illegible] : [illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible] .

[illegible] .

(1)

الشرك هنا أنه حلف بغير الله ، ولم ينكر النبي

(1) .

(1) الإمام أحمد في " المسند " (6/371 ، 372) والنسائي : كتاب الإيمان / باب الحلف بالكعبة ، والحاكم (4/315) وصححه ووافقه الذهبي .

(1) سبق (ص 608)

[الكهف : 110]

2

3

(1)

[الأنبياء : 91]

(1) ابن ماجه : كتاب الكفارات / باب النهي أن يقال : ما شاء الله وشئت ، قال البوصيري في " المصباح " (2 / 152) : " على شرط البخاري " .

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

[طه : 78]

[illegible]

• [illegible]

• [illegible] (1)

لأن أول الوحي كان بالرؤيا الصالحة من ربيع الأول إلى رمضان ، وهذا ستة أشهر ، فإذا نسبت هذا إلى بقية زمن الوحي ، كان جزءاً من ستة وأربعين جزءاً ، لأن الوحي كان ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر مقدمة له ,

[illegible] : هي التي تتضمن الصلاح ، وتأتي منظمة وليست بأضغاث أحلام .

أما أضغاث الأحلام ، فإنها مشوشة غير منظمة ، وذلك مثل التي قصها رجل على النبي [illegible]

[illegible] (1) [illegible] [10 : [illegible]] [illegible] (2) [illegible] (3).

* [illegible] (4) [illegible] (5) [illegible] .

---

(1) البخاري : كتاب التعبير / باب الرؤيا الصالحة ، ومسلم :كتاب الرؤيا ، (2265) .

() مسلم : كتاب الرؤيا / باب لا يخبر بتلاعب الشيطان به في المنام .

(2) مسلم " كتاب الرؤيا " (2260) .

(3) البخاري : كتاب التعبير / باب القيد في المنام .

(4) الإمام أحمد في " المسند " (4/43) ، وأبو داود ، كتاب الصلاة / باب كيف الأذن .

(5) الهيثمي في " مجمع الزوائد " (9/ 322)، وقال : " رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح " .

***

باب من سب الدهر ، فقد آذي الله

(1) يأتي (ص 826) .

(2) مسلم : كتاب البر والصلة / باب تحريم الظلم .

أن في الآية نسبة الحوادث إلى الدهر ، ومن نسبها إلى الدهر ،
فسوف يسب الدهر إذا وقع فيه ما يكرهه .

---

(1) البخاري : كتاب التوحيد / باب قوله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، تفسير سورة الجاثية ، ومسلم : كتاب الألفاظ / باب النهي عن سب الدهر .

[illegible] [140 : [illegible]] [illegible]

[illegible] [26 : [illegible]] [illegible]

[illegible]

[illegible] :

- **[illegible] :** [illegible] . [illegible] : **" [illegible] "** .
- **[illegible] :** [illegible] . [illegible] : **" [illegible] "** .
- **[illegible] :** [illegible] : **" [illegible] "** . [illegible] .
- **[illegible] :** [illegible] . [illegible] : **" [illegible] "** . [illegible] : [illegible] **" [illegible] "** : [illegible] . " [illegible] .
- [illegible] : [illegible] .

***

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

1-

2-

[1] البخاري : كتاب العلم / باب من يرد الله به خيراً ، ومسلم : كتاب الزكاة / باب النهي عن المسالة .

[2] البخاري : كتاب الآدب / باب ما يكره من التمادح ، ومسلم : كتاب الزهد / باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط .

(1) البخاري : كتاب الأدب / باب أبغض الأسماء إلى الله تعالى ، ومسلم : كتاب الآداب / باب تحريم التسمي بملك الأملاك .

(1) مسلم : كتاب الآداب / باب تحريم التسمي بملك الأملاك .

- [illegible] " [illegible] ([illegible]) [illegible] : [illegible] " . [illegible]
- [illegible] : [illegible] " [illegible] " .

[illegible] " [illegible] " . [illegible]

- **[illegible] :**

[illegible]

[illegible] :

[illegible]* : [illegible]

- **[illegible] :** [illegible]
- **[illegible] :** [illegible]

[illegible]

- **[illegible] :** [illegible] " [illegible] "
- **[illegible] :**

[illegible]

[illegible] :

1 — [illegible] " [illegible] " [illegible]

2 ([illegible] " [illegible] " [illegible]

[illegible] **[illegible]**

[illegible]

***

باب احترام أسماء الله .. إلخ

(1) تقدم (ص 768).

(2) تقدم (ص 768).

(1) البخاري : كتاب الرقاق / باب القصد والمداومة ، ومسلم : كتاب المنافقين / باب لن يدخل أحد الجنة بعمله .

(1) أنظر أيضاً : " رسالة القواعد المثلى " للمؤلف حفظه الله .

(2) أبو داود : كتاب الأدب / باب تغيير الاسم القبيح والنسائي : كتاب القضاء / باب إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم .

(1) انظر " الإصابة " لابن حجر (1/342)

(2) نظر " الإصابة " لابن حجر (1 / 349)

[44 :]

[47 :]

[61-60 :]

*

" "

•

3 (

***

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

هذه الترجمة فيها شيء من الغموض ، والظاهر أن المراد من هزل بشيء فيه ذكر الله مثل الأحكام الشرعية ، أو هزل بالقرآن أو هزل بالرسول .

ومن هزل بالله أو بآياته الكونية أو الشرعية أو برسـله ، فهو كافر ، لأن منافاة الاستهزاء للإيمان منافاة عظيمة .

: كفر إعراض ، وكفر معارضة ، والمستهزئ كافر كفر معارضة ، فهو أعظم ممن يسجد لصنم فقط ، وهذه المسألة خطيرة جداً ، ورب كلمة أوقعت بصاحبها البلاء بل والهلاك وهو لا يشعر ، فقد يتكلم الإنسان بالكلمة من سخط الله عز وجل لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار .

فمن استهزأ بالصلاة ولو نافلة ، أو بالزكاة ، أو الصوم ، أو الحج ، فهو كافر بإجماع المسلمين ، كذلك من استهزأ بالآيات الكونية بأن قال مثلاً : إن وجود الحر في أيام الشتاء سفه ، أو قال : إن وجود البرد في أيام الصيف سفه ، فهذا كفر مخرج عن الملة ، لأن الرب عز وجل كل أفعاله مبنية على الحكمة وقد لا نستطيع بلوغها بل لا نستطيع بلوغها .

ثم اعلم أن العلماء اختلفوا فيمن سب الله أو رسوله أو كتابه : هل تقبل توبته ؟ على قولين:

: أنها لا تقبل ، وهو المشهور عن الحنابلة ، بل يقتل كافراً ، ولا يصلى عليه ، ولا يدعى له بالرحمة ، ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين ، ولو قال : إنه تاب أو إنه أخطأ ، لأنهم يقولون : إن هذه الردة أمرها عظيم وكبير لا تنفع فيها التوبة .

وقال بعض أهل العلم : إنها تقبل إذا علمنا صدق توبته إلى الله ، وأقر على نفسه بالخطأ ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم ، وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة ، كقوله تعالى : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً [: 53] ، ومن الكفار من يسبون الله ، ومع ذلك تقبل توبتهم

وهذا هو الصحيح ، إلا أن ساب الرسول

[illegible]

[illegible] [67 [illegible].

[illegible]

ويستفاد من الآيتين :

1. بيان علم الله عز وجل بما سيكون ، لقوله : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن** ﴾، وهذا مستقبل ، فالله عالم ما كان وما سيكون ، قال تعالى : ﴿ **ولله غيب السماوات والأرض وإليه** يرجع الأمر كله ﴾ [هود : 123] .
2. أن الرسول

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ، دخل حديث بعضهم في بعض : " أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائناً هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عن اللقاء **(يعني رسول الله** ﷺ) .

﴿ **أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ﴾ [التوبة : 67] ."[1]

" دخل حديث بعضهم في بعض " .

[1] ابن جرير الطبري في " تفسيره " (16912-16916) ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه كما في " الدار المنثور " (4/230) .

" **في غزوة تبوك** " .

" **ما رأينا** " .

" **مثل قرائنا** " .

" **أرغب بطوناً** " .

" **ولا أجبن عند اللقاء** " .

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه [4]

(1)

للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون [8] .

والله يشهد إنهم لكاذبون [11] (2)

يحسبون كل صيحة عليهم .. [4]

" **ولكنك منافق** " .

وطعناً في الرسول :

وطعناً في الشريعة :

---

(1) البخاري : كتاب الدعوات / باب الاستعاذة من الجبن .

(2) البخاري : كتاب الإيمان /باب علامة المنافق ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب بيان خصال المنافق .

" فوجد القرآن قد سبقه " [illegible]

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم [illegible] [108 : [illegible]] .

[illegible]

[40 : [illegible]] [illegible]

[29 : [illegible]] [illegible]

---

(1) البخاري : كتاب الأدب / باب ما يكره من النميمة) ومسلم : كتاب الإيمان / باب غلظ تحريم النميمة .

(2) البخاري : باب الجنائز / باب عذاب القبر من الغيبة ، ومسلم : كتاب الطهارة / باب الدليل على نجاسة البول .

[illegible] [73:[illegible]] [9 : [illegible]]
[illegible] .

- [illegible] : [illegible] . [illegible]
[illegible]
[illegible]

***

. [50 :]

[49-47 :]

[65 :]

(1)

(1) " تفسير ابن جرير " (10/107) ، " الدر المنثور " (5/137) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : " أن ثلاثة من بني إسرائيل ، أبرص وأقرع وأعمي ، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتي الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لو حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به " . قال : " فمسحه ، فذهب عنه قذرة ، فأعطي لونا حسناً وجلداً حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر (شك إسحاق) . فأعطي ناقة عشراء ، وقال : بارك الله لك فيها " . قال : فأتي الأقرع ، فقال : أي شيء أحب أليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قدرني الناس به ، فمسحه ، فذهب عنه قذرة ، وأعطي شعراً حسناً . فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل . فأعطي بقرة حاملاً ، قال ، بارك الله لك فيها . فأتي الأعمى ، فقال أي شيء أحب إليك ؟ قال يرد الله إلى بصري فأبصر به الناس . فمسحه ، فرد الله إليه بصره . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال الغنم . فأعطي شاه والداً . فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم " . قال : ثم إنه أتي الأبرص في صورته وهيئته ، قال : رجل مسكين وابن سبيل قد أنقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسالك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بعيراً أتبلغ به في سفري : فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأني

أعرفك ! ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال أنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر . فقال إن كنت كاذباً ، فصيرك الله إلى ما كنت " .

[illegible]

قوله : " [illegible] " . " [illegible] " نافية للجنس ، والبلاغ بمعين الوصول ، ومنه تبليغ الرسالة ، أي : إيصالها إلى المرسل إليه ، والمعنى : لا شيء يوصلني إلى بالله ثم بك ، فالمسألة فيها ضرورة .

السؤال هنا ليس سؤال استخبار بل سؤال استجداء ، لأن " [illegible] " تأتي بمعنى استجدى وبمعنى استخبر ، تقول : سألته عن فلان ، أي : استخبرته ، وسألته مالاً ، أي استجديته واستعطيته ، وإنما قال : " [illegible] " ، ولم يقل : أسألك بالله ، لأجل أن يذكره بنعمة الله عليه ، ففيه إغراء له على الإعانة لهذا المسكين ، لأنه جمع بين أمرين : كونه مسكيناً ، وكونه ابن سبيل ، ففيه سببان يقتضيان الإعطاء .

وقوله : " [illegible] " . يدل على أن الأبرص أعطي الإبل ، وتعبير [illegible] " [illegible] " من باب ورعه .

قوله : " [illegible] " . أي ليس أطيب الإبل وإنما يوصلني إلى أهلي فقط .

قوله : " [illegible] " . أي : هذا المال الذي عندي متعلق به حقوق كثيرة ، ليس حقك أنت فقط ، وتناسى والعياذ بالله أن الله هو الذي مَنَّ عليه بالجلد الحسن واللون الحسن والمال .

قوله : " [illegible] " . كأن هناك للتحقيق لا للتشبيه ، لأنها إذا دخلت على جامد فهي للتشبيه ، وإذا دخلت على مشتق ، فهي للتحقيق أو للظن والحسبان ، والمعنى : أني أعرفك معرفة تامة .

قوله : " [illegible] " . ذكّره الملك بنعمة الله عليه وعرفه بما فيه من العيب السابق حتى يعرف قدر النعمة ، والاستفهام للتقرير لدخوله على " لم " ، كقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [[illegible] : 1] .

[illegible] : " [illegible] " . أنكر أن المال من الله ، لكنه لم يستطع أن ينكر البرص .

و" [illegible] " منصوبة على نزع الخافض ، أي : من كابر ، أي : ممن يكبرني وهو الأب ، عن كابر له وهو الجد ، وقيل : المراد الكبر المعنوي ، أي أننا شرفاء وسادة وفي نعمة من الأصل ، وليس هذا المال مما تجدد ، واللفظ يحتمل المعنيين جميعاً .

[illegible] : " [illegible] " . " [illegible] " : شرطية ولها مقابل ، يعني : وإن كنت صادقاً فأبقي الله عليك النعمة .

[illegible] : كيف يأتي بـ " [illegible] " الشرطية الدالة على الاحتمال مع أنه يعرف أنه كاذب؟

[illegible] : إن هذا من باب التنزل مع الخصم ، والمعنى : إن كنت كما ذكرت عن نفسك ، فأبقي الله عليك هذه النعمة ، وإن كنت كاذباً وأنك لم ترثه كابراً عن كابر ، فصيرك الله إلى ما كنت من البرص والفقر ، ولم يقل : " [illegible] " ، لأنه كان على ذلك بلا شك .

والتنزل مع الخصم يرد كثيراً في الأمور المتيقنة ، كقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [[illegible] : 59] [illegible]

[illegible]

(1) تقدم (ص 700)

(1) مسلم : كتاب الصلاة المسافرين / باب الدعاء في صلاة الليل .

17. [illegible]
18. [illegible]
19. [illegible]
20. [illegible]
21. [illegible]

- [illegible]

[illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

***

(1) البخاري : كتاب المحاربين / باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست .

(2) البخاري : كتاب الغسل / باب إذا التقي الخناتان ، ومسلم : كتاب الحيض / باب نسخ الماء من الماء.

[1] البخاري : كتاب القدر / باب إلقاء العبد النذر إلى القدر ، ومسلم : كتاب النذر / باب النهي عن النذر .

(1) تقدم تخريجه (ص 724).

(2) البخاري : كتاب المغازي / باب قوله تعالى "ويوم حنين " ومسلم: كتاب الجهاد/ باب غزوة حنين.

(3) البخاري : كتاب المناقب / باب مناقب قريش .

(4) البخاري : كتاب الوصايا / باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك ﴾ .

[5] ابن أبي حاتم كما في " تفسير ابن كثير " (2/275) ، وابن جرير في " تفسيره " (15516) .

[6] ابن جرير الطبري في " التفسير " (15521)

[7] تفسير ابن كثير (3/531)

[1] البخاري : كتاب التفسير / باب قوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب أدني أهل الجنة منزلة .

(1) تقدم (ص 891)

(2) تقدم تخريجه (ص 891)

***

[illegible] :

[illegible]] [illegible] :

. [180

[illegible]

[illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible] .

[illegible]

***

[illegible] : **[illegible]** . [illegible]

[illegible] .

[illegible] : **[illegible]** . [illegible]

[illegible] . **[illegible]** [illegible]

[illegible] .

[illegible] .

[illegible] :

[illegible] : [illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] :

1. [illegible] .
2. [illegible] : **[illegible]** [illegible] ! [illegible] .
3. [illegible] .

[illegible] : **[illegible]** . [illegible] ! [illegible] .

[illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] !

[illegible] !

[illegible]

[1] البخاري : كتاب الأذان / باب الدعاء قبل السلام ، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء / باب استجباب خفض الصوت بالذكر .

[11:]

[31 :]

[8-7 :]

(1)

[40 :]

(1) ابن أبي حاتم في " تفسير ه " كما في " الدر المنثور " (3/615)

[1] أنظر : (ص 901)

باب لا يقال : السلام على الله

هذه الترجمة أتى بها المؤلف بصيغة النفي ، وهو محتمل للكراهة والتحريم ، لكن استدلاله بالحديث يقتضي أنه للتحريم وهو كذلك .

والسلام له عدة معان :

1. التحية ، كما قال : سلم على فلان ، أي : حياة بالسلام .
2. السلامة من النقص والآفات ، كقولنا : " **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته** ".
3. السلام : اسم من أسماء الله تعالى ، قال تعالى : **الملك القدوس السلام** [الحشر : 23] .

قوله : " **لا يقال السلام على الله** " . أي : لا تقل : السلام عليكم يا رب ، لما يلي :

أ) أن مثل هذا الدعاء يُوهم النقص في حقه ، فتدعو الله أن يسلم نفسه من ذلك ، إذ لا يدعي لشيء بالسلام من شيء إلا إذا كان قابلاً أن يتصف به ، والله سبحانه منزه عن صفات النقص .

ب) إذا دعوت الله أن يسلم نفسه ، فقد خالفت الحقيقة ، لأن الله يدعى ولا يدعى له ، فهو غني عنا ، لكن يثني عليه بصفات الكمال مثل غفور ، سميع ، عليم ...

ومناسبة الباب لتوحيد الصفات ظاهرة ، لأن صفاته عليا كاملة كما أن أسماءه حسنى ، والدليل على أن صفاته عليا قوله تعالى : **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلي** [النحل : 60] وقوله تعالى : **وله المثل الأعلي في السماوات والأرض** [الروم : 27] .

والمثل الأعلى : الوصف الأكمل ، فإذا قلنا : السلام على الله أوهم ذلك أن الله سبحانه قد يلحقة النقص ، وهذا ينافي كمال صفاته .

ومناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة ، لأن موضوع الباب الذي قبله إثبات الأسماء الحسنى لله المتضمنة لصفاته ، وموضوع هذا الباب سلامة صفاته من كل نقص ، وهذا يتضمن كمالها ، إذ لا يتم الكمال إلا بإثبات صفات الكمال ونفي ما يضادها ، فإنك لو قلت : زيد فاضل أثبت له الفضل ، وجاز أن يلحقه نقص ، وإذا قلت : زيد فاضل ولم يسلك شيئاً من طرق السفول ، فالآن أثبت له الفضل المطلق في هذه الصفة .

والرب سبحانه وتعالى ينصف بصفات الكمال ، ولكنه إذا ذكر ما يضاد تلك الصفة صار ذلك أكمل ، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله الباب السابق بهذا الباب إشارة إلى أن الأسماء الحسنى والصفات العلى لا يلحقها نقص .

والسلام اسم ثبوتي سلبي .

فسلبي : أي أنه يراد به نفي كل نقص أو عيب يتصوره الذهن أو يتخيله العقل ، فلا يلحقه نقص في ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامه .

وثبوتي : أي يراد به ثبوت هذا الاسم له ، والصفة التي تضمنها وهي السلامة .

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : كنا إذا كنا مع النبي [illegible] " [illegible] ".[1]

قول : " **في الصحيح** " . هذا أعم من أن يكون ثابتاً في " الصحيحين " ، أو أحدهما ، أو غيرها ، وأنظر : (ص 146) باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وهذا الحديث المذكور في " الصحيحين " .

قوله : " **كنا مع النبي** [illegible] **في الصلاة** " . [illegible] .

[illegible] : " **قلنا : السلام على الله من عباده** " . [illegible] :

1. اسم السلام عليك ، أي : عليك بركاته باسمه .
2. السلامة من الله عليك ، فهو سلام بمعني تسليم ، ككلام بمعني تكليم .

قوله : " السلام على فلان وفلان " . أي : جبريل وميكائيل ، وكلمة فلان يكني بها عن الشخص ، وهي مصروفة ، لأنها ليست علماً ولا صفة ، كصفوان في قوله تعالى : [illegible] **كمثل صفوان عليه تراب** [illegible] [البقرة : 264] .

وقد جاء في لفظ آخر : " **السلام على جبريل و ميكال** " [2] كانوا يقولون هكذا في السلام . فقال النبي [illegible] : " [illegible] " .

[illegible] .

[illegible] : " [illegible] " [1].

- [illegible] :

[illegible] .

- [illegible] : [illegible] :
- [illegible] : [illegible] .
- [illegible] : [illegible] .
- [illegible] : [illegible] .

---

[1] البخاري : كتاب الأذان / باب التشهد في الآخرة ، ومسلم : كتاب الصلاة / باب التشهد في الصلاة.

[2] البخاري : كتاب صفة الصلاة / باب التشهد في الآخرة .

[1] البخاري : كتاب فضائل الصحابة / باب فضل عائشة ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة / باب فضل عائشة .

- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .
- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] : "
[illegible] : **[illegible]** .. " [illegible]
[illegible] **[illegible]** : [illegible] .

[illegible] :

1. [illegible] .
2. [illegible]
[illegible].
3. [illegible] .

[illegible] : [illegible]
[illegible] .

[illegible] : [illegible] : " **[illegible]**
: [illegible] " [illegible]
[illegible] :
[illegible] **[illegible]** [illegible]]
[187 : [illegible] .

باب قول : اللهم اغفر لي [illegible] شئت

قوله : " **باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت** " .
عقد المؤلف هذا الباب لما تضمنه هذا الحديث من كمال سلطان الله وكمال جوده وفضله ، وذلك من صفات الكمال .
قوله : " **اللهم** " . معناه : يا الله ، لكن لكثرة الاستعمال حذفت يا للنداء وعوض عنها الميم ، وجعل العوض في الآخر تيمناً بالابتداء بذكر الله .
قوله : " **اغفر لي** " . المغفرة : ستر الذنب مع التجاوز عنه ، لأنها مشتقة من المغفر ، وهو ما يستر به الرأس للوقاية من السهام ، وهذا لا يكون إلا بشيء ساتر واق ، ويدل له قول الله عز وجل للعبد المؤمن حينما يخلو به ويقرره بذنوبه يوم القيامة : " **قد سترها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم** " [1] .
قوله : " **إن شئت** " . أي : أن شئت أن تغفر لي فاغفر ، وإن شئت فلا تغفر .

في الصحيح عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : " لا يقل أحدكم : اللهم أغفر لي أن شئت . اللهم ارحمني إن شئت . ليعزم المسألة ، فإن الله لا مكره له " [2].
ولمسلم : " وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه " [3].

[illegible] : " **في الصحيح** " . [illegible]
[illegible] " **الصحيحين** " [illegible] .
[illegible] : " **لا يقل أحدكم** " . [illegible] .
[illegible] : " **اللهم اغفر لي ، اللهم ارحمني** " . [illegible]
[illegible] : " **أغفر لي** " [illegible] : " **ارحمني** " . [illegible] .
[illegible] : " **ليعزوم المسألة** " . [illegible] : [illegible] . "**المسألة** " : **السؤال** ، أي : ليعزم في سؤاله فلا يكون متردداً بقوله : إن شئت .
قوله : " **فإن الله لا مكره له** " . تعليل للنهي عن قول : " **اللهم أغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت** " ، أي : لا أحد يكرهه على ما يريد فيمنعه منه ، أو ما لا يريد فيلزمه بفعله ، لأن الأمر كله لله وحده .
والمحظور في هذا التعليق من وجوه ثلاثة :

---

[1] البخاري : كتاب المظالم / باب قوله تعالى : ﴿ إلا لعنة الله على الظالمين ﴾ ، ومسلم : كتاب التوبة / باب توبة العاقل .
[2] البخاري : كتاب التوحيد / باب المشيئة ، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء / باب العزم بالدعاء .
[3] مسلم : كتاب الذكر /باب العزم بالدعاء .

الأول : أنه يُشعر بأن الله له مكره على الشيء وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه ، فكأن الداعي بهذه الكيفية يقول : أنا لا أكرهك ، إن شئت فاغفر وإن شئت فلا تغفر .
الثاني : **أن قول القائل** : " إن شئت " كأنه يرى أن هذا أمر عظيم على الله فقد لا يشابه لكونه عظيماً عنده ، ونظير ذلك أن تقول لشخص من الناس والمثال للصورة بالصورة لا للحقيقة بالحقيقة ، أعطني مليون ريال إن شئت ، فإنك إذا قلت له ذلك ، ربما يكون الشيء عظيماً يتثاقله ، فقولك : إن شئت ، لأجل أن تهون عليه المسألة ، فالله عز وجل لا يحتاج أن تقول له : إن شئت ، لأنه سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " **وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه** " .
قوله : " **وليعظم الرغبة** " ، أي : ليسأل ما شاء من قليل وكثير ولا يقل : هذا كثير لا أسال الله إياه ، ولهذا قال : " **فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه** " ، أي : لا يكون الشيء عظيماً عنده حتى يمنعه ويبخل به سبحانه وتعالى كل شيء يعطيه ، فإنه ليس عظيماً عنده ، فالله عز وجل يبعث الخلق بكلمة واحدة ، وهذا أمر عظيم ، لكنه يسير عليه ، قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [التغابن : 7] وليس بعظيم ، فكل ما يعطيه الله عز وجل لأحد من خلقه فليس بعظيم يتعاظمه ، أي : لا يكون الشيء عظيماً عنده حتى لا يعطيه ، بل كل شيء عنده هين .
الثالث : أنه يشعر بأن الطالب مستغن عن الله ، كأنه يقول : إن شئت فافعل ، وإن شئت فلا تفعل لا يهمني ، ولهذا قال : " **وليعظم الرغبة** " ، أي : يسأل برغبة عظيمة ، والتعليق ينافي ذلك ، لأن المعلق للشيء المطلوب يشعر تعليقه بأن مستغن عنه ، والإنسان ينبغي أن يدعوا الله تعالى وهو يشعر أنه مفتقر إليه غاية الأفتقار ، وأن الله قادر على أن يعطيه ما سأل ، وأن اله ليس يعظم عليه شيء ، بل هو هين عليه ، إذا من آداب الدعاء أن لا يدعو بهذه الصيغة ، بل يجزم فيقول : اللهم إغفر لي ، الهم ارحمني ، اللهم وفقني ، وما أشبه ذلك ، وهل يجزم بالإجابة ؟
الجواب : إذا كان الأمر عائدا إلى قدرة الله ، فهذا يجب أن يجزم بأن الله قادر على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ [غافر : 60] .
أما من حيث دعائك أنت باعتبار ما عندك من الموانع ، أو عدم توافر الأسباب ، فإنك قد تتردد في الإجابة ، ومع ذلك ينبغي أن تحسن الظن بالله ، لأن الله عز وجل قال ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ ، فالذي وفقك لدعائه أولاً سيمن عليك بالإجابة آخراً ، لا سيما إذا أتي الإنسان بأسباب الإجابة وتجنب الموانع ، ومن الموانع الاعتداء في الدعاء ، كأن يدعو بإثم أو قطيعة رحم .
ومنها أن يدعو بما لا يمكن شرعاً أو قدراً :

فشرعاً كأن يقول : اللهم اجعلني نبياً .
وقدراً بأن يدعو الله تعالى بأن يجمع بين النقيضين ، وهذا أمر لا يمكن ، فالاعتداء بالدعاء مانع من إجابته ، وهو محرم ، لقوله تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ [الأعراف : 55] ، وهو أشبه ما يكون بالاستهزاء بالله سبحانه .

- **مناسبة الباب للتوحيد : من وجهين** :

1. من جهة الربوبية ، فإن من أتى بما يشعر بأن الله له مكره لم يقم بتمام ربو بيته تعالى ، لأن من تمام الربوبية أنه لا مكره له ، بل إنه لا يسأل عما يفعل ، كما قال تعالى : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ [الأنبياء : 23] . وكذلك فيه نقص من ناحية الربوبية من جهة أخرى وهو أن الله يتعاظم الأشياء التي يعطيها فكان فيه قدح في جوده وكرمه.
2. من ناحية العبد ، فإنه يشعر باستغنائه عن ربه ، وهذا نقص في توحيد الإنسان ، سواء من جهة الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات ، ولهذا ذكره المصنف في باب الذي يتعلق بالأسماء والصفات .

فإن قلت : ما الجواب عما ورد في دعاء الأستخارة : " اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ! إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به "[1] ؟ وكذا ما ورد في الحديث المشهور "اللهم احيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي"[(2)]
فالجواب : أنني لم أعلق هذا بالمشيئة ، ما قلت : فاقدره لي إن شئت ، لكن لا أعلم أن هذا خير لي أو شر والله يعلم ، فأقول : إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي فاقدره لي ، فالتعليق فيه لأمر مجهول عندي لا أعلم هل هو خير لي أو لا ؟ وكذا بالنسبة للحديث الآخر ، لأن الإنسان لا يعلم هل طول حياته خير أو شر ؟ ولهذا كره أهل العلم أن تقول للشخص : أطال الله بقاءك ، لأن طول البقاء لا يعلم ، فقد يكون خيراً ، وقد يكون شراً ، ولكن يقال : أطال الله بقاءك على طاعته وما أشبه ذلك حتى يكون الدعاء خيراً بكل حال ، وعلي هذا ، فلا يكون في حديث الباب معارضة لحديث الاستخارة ولا حديث : " **اللهم أحيني ما**

---

[1] [(1)] البخاري : كتاب الدعوات / باب الدعاء عند الأستخارة .

[2] 2. البخاري: كتاب الدعوات/ باب الدعاء بالموت والحياة ومسلم كتاب الذكر والدعاء/ باب كراهة تمني الموت.

كانت الحياة خيراً لي " لأن الدعاء مجزوم به وليس معلقاً بالمشيئة ، والنهي إنما هو عما كان معلقاً بالمشيئة .
لكن لو قال : اللهم أغفر لي إن أردت وليس إن شئت ، فالحكم واحد لأن الإرادة هنا كونية ، فهي بمعني المشيئة ، فالخلاف باللفظ لا يعتبر مؤثراً بالحكم .

- **فيه مسائل :**

الأولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء . الثانية : بيان العلة في ذلك الثالثة : قوله : " ليعزم المسألة " .
الرابعة : إعظام الرغبة . الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

فيه مسائل :

- **الأولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء والمراد بالاستثناء هنا الشرط ، فإن الشرط** يسمي استثناء بدليل قوله [illegible] " **حجي واشترطي ، فإن لك على ربك ما استثنيت** "[1] [illegible]
- **الثانية** : **بيان العلة في ذلك . وقد سبق أنها ثلاث علل :**

1. أنها تشعر بأن الله له مكره ، والأمر ليس كذلك .
2. أنها تشعر بأن هذا أمر عظيم على الله قد يثقل عليه ويعجز عنه ، والأمر ليس كذلك.
3. أنها تشعر باستغناء الإنسان عن الله ، وهذا غير لآئق وليس من الأدب .

- **الثالثة** : قوله : " **ليعزم المسألة** " . تفيد أنك إذا سألت فاعزم ولا تردد .
- الرابعة : إعظام الرغبة . لقوله [illegible] : " **وليعظم الرغبة** " [illegible]
- **الخامسة** : [illegible] : " **فإن الله لا يتعاظمه شيء أو لا مكره له** " [illegible] : " **وليعظم الرغبة** " [illegible]

وفي ذكر علة الحكم فوائد :

الأولى : [illegible]

الثانية : [illegible] "[illegible] " . [illegible][1] [illegible]

والرجل الذي قال : [illegible]

---

[1] البخاري : كتاب النكاح / باب الأكفاء في الدين ، ومسلم : كتاب الحج/ باب جواز اشتراط المحرم .

[1] الإمام أحمد في " المسند " (1/175، 176) ، وأبو داود : كتاب البيوع / باب في التمر بالتمر ، والترمذي : كتاب البيوع / باب في النهي عن المحاقة ، والنسائي : كتاب البيوع باب اشتراء التمر بالرطب ، وابن ماجه : كتاب التجارات / باب بيع الرطب بالتمر ، والحاكم في " المستدرك " (2/38) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه أحمد شاكر في " المسند " (1515) .

من أين

[2] البخاري : كتاب الطلاق / باب إذا عرض بنفي الولد ، ومسلم : كتاب اللعان .

***

[illegible]

[illegible] : " [illegible]

[illegible] وضيء ربك ، وليقل : سيدي ومولاي . ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي . وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي "[1].

[illegible]

[illegible] 32 [illegible] "[2].

[illegible]

1. من جهة الصيغة ، لأنه يوهم معنى فاسداً بالنسبة لكلمة رب ، لأن الرب من أسمائه سبحانه ، وهو سبحانه يطعم ولا يطعم ، وإن كان بلا شك إن الرب هنا غير رب العالمين الذي يطعم ولا يطعم ، ولكن من باب الأدب في اللفظ .
2. من جهة المعني أنه يشعر العبد أو الأمة بالذل ، لأنه إذا كان السيد رباً كان العبد أو الأمة مربوباً .

[illegible] : أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب ، فهذا لا بأس به ، كقوله [illegible] "[1] [illegible] "[2] [illegible]

---

[1] البخاري : كتاب العتق / باب كراهة التطاول على الرقيق ، ومسلم : كتاب الأدب / باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة .

[2] البخاري : كتاب الزكاة / باب ليس على المسلم في عبده صدقة ، ومسلم : كتاب الزكاة / باب لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه .

[1] البخاري : كتاب الإيمان / باب سؤال جبريل النبي [illegible] .

[2] البخاري : كتاب التفسير / باب ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب بيان الإيمان .

" [3].

﴿ ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ ﴿ وكثير من الناس ﴾ ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ [: 18]

﴿ إنه ربي أحسن مثواي ﴾ [: 23]

ربي

﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ [: 25] [2]

﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ [: 62]

[3]

[4]

---

[3] البخاري : كتاب اللقطة / باب ضالة الإبل ، ومسلم كتاب اللقطة.

[1] الإمام أحمد في " المسند " (4/24، 35) والبخاري في " الإدب المفرد " (211) ، وأبو داود : كتاب الأدب / باب في كراهة التمادح . قال ابن حجر في " الفتح " (5/179) :رجاله ثقات ، وقد صححه غير واحد .

[2] مسلم : كتاب الفضائل / باب تفضيل النبي .

[3] الإمام أحمد (5/72) ، والترمذي : كتاب الرضاع / باب في حق المرأة على زوجها ، وابن ماجة : كتاب النكاح / باب حق المرأة على زوجها ، 1 / 594.

ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون [62]

ذلك بأن الله مولي الذين آمنوا وأن الكافرون لا مولي لهم [11]

لا مولي لهم

وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين [4] [5]

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم [59] .

" ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي " .

[3]

[4]

1. " "

يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا [104]

---

[4] البخاري : كتاب الجمعة / باب الجمعة في القري : ومسلم : كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل .

[1] الإمام أحمد في " المسند " (1/84).

[2] البخاري : كتاب العتق / باب ما يجوز من شرط المكاتب ، ومسلم : كتاب العتق / باب إثما الولاء لمن أعتق .

[3] البخاري : كتاب الجمعة / باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل .. ، ومسلم : كتاب الصلاة / باب خروج النساء .

[4] مسلم : كتاب البر والصلة / باب فضل عيادة المريض .

[illegible]

[illegible]

2. [illegible]

[illegible] [2] .

[illegible]

[illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

[illegible]

***

[illegible]

[illegible] : أن يسأل بالله ، فهذا تجيبه وإن لم يكن مستحقاً ، لأنه سأل بعظيم فإجابته من تعظيم هذا العظيم ، لكن لو سأل إثماً أو كان في إجابته ضرر على المسؤول ، فإنه لا يجاب .

[illegible] : أن يسألك بالله نقوداً ليشتري بها محرماً كالخمر .

[illegible] : أن يسألك بالله أن تخبره عما في سرك وما تفعله مع أهلك ، فهذا لا يجاب لأن في الأول إعانة على الإثم ، وإجابته في الثاني ضرر على المسؤول .

[illegible]

---

(1) تقدم تخريجه (ص 877).

(2) مسلم : كتاب الزكاة / باب كراهة المسألة للناس .

(3) ابن ماجة : كتاب / الزهد في الدنيا .

(4) البخاري : كتاب الزكاة / باب من سأل الناس تكثراً ، ومسلم : كتاب الزكاة / باب كراهة المسألة

(1) تقدم (ص 110)

[illegible]

قوله : " [illegible] " . أي قال : أعوذ بالله منك ، فإنه يجب عليك أن تعيذه ، لأنه استعاذ بعظيم ، ولهذا لما قالت ابنة الجون للرسول ﷺ : [illegible] [3].

[illegible]

1. أن يكون الداعي ممن لا يجب هجره أو يسن .
2. إلا يكون هناك منكر في مكان الدعوة ، فإن كان هناك منكر ، فإن أمكنه إزالته ، [illegible] :
   - إجابة الدعوة .
   - وتغيير المنكر .

   وإن كان لا يمكنه إزالته حرم عليه الحضور ، لأن حضوره يستلزم إثمه ، وما استلزم الإثم ، فهو إثم .
3. أن يكون الداعي مسلماً ، وإلا لم تجب الإجابة ، لقوله ﷺ : " [illegible] " [3] [illegible]
4. [illegible]

[illegible] [1] [illegible]

---

[2] قدم (ص 877)

[3] البخاري : كتاب الطلاق / باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق .

[1] البخاري : كتاب النكاح / باب من ترك الدعوة فقد عصي الله ورسوله ، ومسلم : كتاب النكاح / باب الأمر بإجابة الداعي .

[3] البخاري : كتاب الجنائز / باب الأمر باتباع الجنائز ، ومسلم : كتاب السلام / باب من حق المسلم للمسلم .

[3] البخاري : كتاب البيوع / باب شراء النبي ﷺ [illegible] .

[4] البخاري : كتاب الهبة / باب قبول الهدية من المشركين ، ومسلم كتاب السلام / باب السم .

[5] الإمام أحمد في " المسند " (3/ 210، 211)

[1] البخاري : كتاب الزكاة /باب إذا تحولت الصدقة ، ومسلم كتاب الزكاة / باب إباحة الهدية للنبي عليه الصلاة والسلام.

[1] البخاري : كتاب الزكاة / باب لا صدقة إلا عن ظهر غني ، ومسلم : كتاب الزكاة / باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلي .

- **[illegible]**: [illegible]
- **[illegible]**: [illegible]
- **[illegible]**: [illegible]
- **[illegible]**: [illegible]
- **[illegible]**: [illegible]
- **[illegible]**: [illegible] " **[illegible]** " [illegible]
- [illegible]

***

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

[illegible] (1).

[illegible]

قوله : " لا يســـأل بوجه الله إلا الجنة . اختلف في المراد بذلك على قولين :

[illegible] [65] [illegible] (2). [illegible] [88] [illegible] [22] [illegible] [27] [illegible] [78] [illegible]

---

(1) أبو داود : كتاب الزكاة / باب كراهية المسألة بوجه الله .

(2) البخاري : كتاب التفسير / باب ﴿ قل هو القادر .. ﴾

[1] ابن جرير (30/742).

3 البخاري: كتاب بدأ الخلق باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم كتاب الجنة ونعيمها/ باب أول زمرة تدخل الجنة.

[2] البخاري : كتاب الاستئذان / باب بدء السلام ، ومسلم : كتاب البر /باب النهي عن ضرب الوجه .

[illegible]
[illegible] :
[illegible] .

- **[illegible]** : [illegible] . [illegible] .

***

بالجر والتنوين والندا وال ومسند

للأسماء تمييز حصل

[168]

[156]

[148]

[20]

---

(1) يأتي (ص 952).

(1 الإمام أحمد (4/230،231)

(2) البخاري : كتاب التمني / باب قول النبي ﷺ : "

[illegible] : [illegible]
[illegible].
[illegible] : [illegible]
[illegible].

[illegible] : **[illegible]**
[illegible] [**[illegible]** : 154].
[illegible] : **[illegible]**
[illegible] [[illegible] : 168].

[illegible] :

- [illegible] : **[illegible]** . [illegible].
  [illegible] : **[illegible]** . [illegible] : [illegible].
  [illegible] : **[illegible]** . **[illegible]** : [illegible] : **[illegible]** [illegible] : **[illegible]** [illegible] : [illegible] : [illegible] :

[illegible]

[illegible] : **[illegible]** . [illegible] : [illegible].
[illegible] : **[illegible]** [illegible] : [illegible] . **[illegible]** [illegible] : [illegible].
[illegible] : **[illegible]** . [illegible] **[illegible]** : [illegible] :

- [illegible] : **[illegible]** .
- [illegible] " **[illegible]** " [illegible] : **[illegible]** [illegible] " **[illegible]** " [illegible] : [illegible].

[illegible] : **[illegible]** . [illegible] : [illegible] : [illegible] : [illegible].
[illegible] : **[illegible]** . [illegible] : **[illegible]** [illegible].

- **[illegible]** .

[illegible] (**[illegible]**) [illegible].
[illegible] " : [illegible] :
[illegible]

[illegible] [1] [illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible] .

[illegible] :

" [illegible]

[illegible] : [illegible] :

[illegible] ([illegible]) [1].

[illegible] : " [illegible] " . [illegible] : [illegible] : [illegible]

[illegible] ([illegible] 146).

[illegible]

[illegible] : " [illegible]

[illegible] " .

[illegible] : " [illegible] " . [illegible] : [illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible] .

[illegible]

الجواب : لا يدخل في ذلك قوة البدن إلا إذا كـان في قــوة بدنه ما يزيد إيمانه أو يزيد ما يقتضــيه ، لأن " **القــوي** " وصف عائد على موصــوف وهو المــؤمن ، فـالمراد : القـوي في إيمانه أو ما يقتضـيه ، ولا شك أن قوة البـدن نعمة ، إن اسـتعملت في الخـير فخـير ، وإن استعملت في الشر فشر .

[illegible] : " [illegible] " . [illegible]

[illegible] .

قوله : " [illegible] " . وذلك في الإيمان أو فيما يقتضيه لا في قوة البدن .

قوله : " [illegible] " . أي : في كل من القوي والضعيف خير ، وهذا النوع من التذييل يسمي عند البلاغيين بالاحتراس حتى لا يظن أنه لا خير في الضعيف .

فإن قيل : إن الخيرية معلومة في قوله : " [illegible] " ، لأن الأصل في اسم التفضيل اتفاق المفضل والمفضل عليه في أصل الوصف ؟

فالجواب : أنه قد يخرج عن الأصل ،كما في قوله تعالى : [illegible] [الفرقان 24] مع أن أهل النار لا خير في مستقرهم .

كذلك الإنسان إذا سمع هذه الجملة : " [illegible] " صار في نفسه انتقاص للمؤمن [illegible] : " [illegible] " [illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible]

[illegible] [الحديد : 10] .

---

[1] مسلم : كتاب الزهد / باب المؤمن أمره كله خير .

[1] مسلم : كتاب القدر / باب في الأمر بالقوة وترك العجز .

قوله : " [illegible] " . الحرص : بذلك الجهد لنيل ما ينفع من أمر الدين أو الدنيا .

[illegible] :

1. نافعة ، وهذه مأمور بها .
2. ضارة ، وهذه محذر منها .
3. فيها نفع وضرر .
4. لا نفع فيها ولا ضرر ، وهذه لا يتعلق بها أمر ولا نهي ، لكن الغالب أن لا تقع إلا وسيلة إلى ما فيه أمر أو نهي ، فتأخذ حكم الغاية ، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

فالأمر لا يخلو من نفع أو ضرر ، إما لذاته أو لغيره ، فحديثنا العام قد لا يكون فيه نفع ولا ضرر ، لكن قد يتكلم الإنسان ويتحدث لأجل إدخال السرور على غيره فيكون نفعاً ، ولا يمكن أن تجد شيئاً من الأمور والحوادث ليس فيها نفع ولا ضرر ، إما ذاتي ، أو عارض إنما ذكرناه لأجل تمام السير والتقسيم .

والعاقل يشح بوقته أن يصرفه فيما لا نفع فيه ولا ضرر ، قال النبي ﷺ : " [illegible] " .[1]

[illegible]

1. [illegible] .
2. [illegible] .

[illegible]

[1] البخاري : كتاب الأدب / باب إكرام الضيف ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب الحث على إكرام الجار .

[1] البخاري : كتاب تقصير الصلاة / باب إذا لم يطق قاعداً صلي على جنب .

[1] مسلم : كتاب المساجد / باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام .

[1] البخاري : كتاب الحيض / باب ترك الحائض للصوم ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب نقصان الإيمان .

[illegible]

4. [illegible]

5. [illegible]

6. [illegible]

7. [illegible]

8. [illegible] [1] [illegible]

[illegible] [[illegible] : 148] [illegible]

9. [illegible] [2]

فقال بعض أهل العلم : إن هذا يعني الوساوس التي يلقيها في القلب فتجري في العروق .

[illegible] : أن الشيطان نفسه يجري من ابن آدم مجري الدم ، وهذا ليس ببعيد على قدرة الله عز وجل ، كما أن الروح تجري مجري الدم ، وهي جسم ، إذا قبضت تكفن وتحنط وتصعد بها الملائكة إلى السماء .

ومن نعمة الله أن الشيطان ما يضاده ، وهي لمة الملك ، فإن للشيطان في قلب ابن آدم لمة وللملك لمة ، ومن وفق غلبت عنده لمة الملك لمة الشيطان ، فهما دائماً يتصارعان نفس

---

[1] البخاري : كتاب القدر / باب تحاج آدم وموسى ، ومسلم : كتاب القدر / باب حجاج آدم وموسى .

[2] البخاري : كتاب الاعتكاف /باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ، ومسلم : كتاب السلام / باب أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة .

مطمئنة ونفس أمارة بالسوء ، وأما النفس اللوامة فهي وصف للنفسين جميعاً .

10. حسن تعليم النبي [illegible]

- [illegible] :

[illegible]

[illegible] : تفسير الآيتين في آل عمران . وهما :

[illegible] : ﴿ [illegible] ﴾ .

[illegible] : ﴿ [illegible] ﴾ ، أي : ما أخرجنا وما قتلنا ، ولكن الله تعالى : أبطل ذلك بقوله : ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم [illegible] ﴾ ، والآية الأخري : ﴿ [illegible] ﴾ ، فأبطل الله دعواهم هذه بقوله : ﴿ [illegible] ﴾ ، أي : أن كنتم صادقين في البقاء وأن عدم الخروج مانع من القتل ، فادرؤوا عن أنفسكم الموت ، فإنهم لن يسلموا من الموت ، بل لابد أن يموتوا ، ولكن لو أطاعوهم وتركوا الجهاد ، لكانوا على ضلال مبين.

[illegible] : النهي الصريح عن قول " لو" إذا أصابك شيء . لقول الرسول ﷺ : " [illegible] ".

[illegible]

***

[illegible]

المؤلف رحمه الله أطلق النهي ولم يفصح :هل المراد به التحريم أو الكراهية ، وسيتبين إن شاء الله من الحديث .

قوله : " [illegible] " . الهواء الذي يصرفه الله عز وجل ، وجمعه رياح .

وأصولها أربعة : الشمال ، والجنوب ، والشرق ، والغرب ، وما بينهما يسمي النكباء ، لأنها ناكبة عن الاستقامة في الشمال ، أو الجنوب ، أو الشرق ، أو الغرب .

وتصريفها من آيات الله عز وجل ، فأحياناً تكون شديدة تقلع الأشجار وتهدم البيوت وتدفن الزروع ويحصل معها فيضانات عظيمة ، وأحياناً تكون هادئة ، وأحياناً تكون باردة ، وأحياناً حارة ، وأحياناً عالية ، وأحياناً نازلة ، كل هذا بقضاء الله وقدره ، ولو أن الخلق اجتمعوا كلهم على أن يصرفوا الريح عن جهتها التي جعلها الله عليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ولو أجتمعت جميع المكائن العالمية النفاثة لتوجد هذه الريح الشديدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ولكن الله عز وجل بقدرته يصرفها كيف يشاء وعلي ما يريد ، فهل يحق للمسلم أن يسب هذه الريح ؟

[illegible] : لا ، لأن هذه الريح مسخرة مدبرة ، وكما أن الشمس أحياناً [illegible] بإحراقها بعض الأشجار ، ومع ذلك لا يجوز لأحد أن يسبها ، فكذلك الريح ، ولهذا قال : " [illegible] " .

[illegible] : " [illegible] " (1).

[illegible] : " [illegible] " . [illegible]

[illegible] : [illegible]

[illegible] : " [illegible] : [illegible] .. [illegible] " .

[illegible] : " [illegible] " . [illegible]

[illegible] : " [illegible] " . [illegible]

[illegible] : " [illegible] " . [illegible]

[illegible] : " [illegible] " . [illegible] : [illegible] .

---

(1) الإمام أحمد في " المسند " (5/123) . والترمذي : كتاب الفتن / باب ما جاء في النهي عن سب الريح .

قوله : " **من شر هــذه الــريح** " . أي : شــرها بنفسها ، كقلع الأشجار ، ودفن الزروع ، وهدم البيوت .

قوله : " وشر ما فيها " . أي : ما تحمله من الأشياء الضارة ، كالأنتان ، والقاذورات ، والأوبئة وغيرها .

قوله : " وشر ما أمرت به " . كالإهلاك والتدمير ، قال تعالى في ريح عاد : [illegible] [الأحقاف : 25] ، وتيبيس الأرض من الأمطار ، ودفن الرز وع ، وطمس الآثار والطرق ، فقد تؤمر بشر لحكمة بالغة قد نعجز عن إدراكها .

وقوله : " [illegible] " هذا الأمر حقيقي ، أي : يأمرها الله أن تهب ويأمرها أن تتوقف ، وكل شيء من المخلوقات فيه إدراك بالنسبة إلى أمر الله ، قال الله تعالى للأرض والسماء : [illegible] [فصلت : 11] ، وقال للقلم : " أكتب . [illegible] " (1).

- [illegible] :

[illegible]

[illegible] :

- [illegible] : النهي عن سب الريح . وهذا للتحريم ، لأن سبها سب لمن خلقها وأرسلها .
- [illegible] : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأي الإنسان ما يكره . أي : منها ، وهو أن يقول : " **اللهم إني أسألك من خيرها** .. " الحديث ، مع فعل الأسباب الحسية أيضاً ، كالاتقاء من شرها بالجدران أو الجبال ونحوها .
- [illegible] : الإرشاد إلى أنها مأمورة . لقوله : " ما أمرت به " .
- [illegible] : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر . لقوله : " **خير ما أمرت به ، وشر ما أمرت به** " .

والحاصل : أنه يجب على الإنسان أن لا يعـترض على قضـاء الله وقــدره ، وأن لا يســبه ، وأن يكــون مستســلماً لأمــره الكوني كما يجب أن يكـون مستسـلماً لأمـره الشـرعي ، لأن هذه المخلوقـات لاتملك أن تفعل شـيئاً إلا بـأمر الله سـبحانه وتعالى .

---

(1) يأتي تخريجه (ص 1006).

***

باب قول الله تعالى :
﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله﴾ الآية [آل عمران : 154]

ذكر المؤلف في هذا الباب آيتين :

الأولى قوله تعالى : ﴿ **يظنون** ﴾ . الضمير يعود على المنافقين ، والأصل في الظن : أنه الاحتمال الراجح ، وقد يطلق علي اليقين ، كما في قوله تعالى ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم** ﴾ [البقرة : 46] ، أي : يتيقنون ، وضد الراجح المرجوح ، ويسمي وهما .

قوله : ﴿ **ظن الجاهلية** ﴾ . عطف بيان لقوله : ﴿ **غـير الحق** ﴾ ، و ﴿ **الجاهلية** ﴾ : الحـال **الجاهلية** : والمعـني : يظنـون بالله ظن الملة الجاهلية الـتي لا يعـرف الظـان فيها قـدر الله وعظمته ، فهو ظن باطل مبني على الجهل .

والظن بالله عز وجل على نوعين :

الأول : أن يظن بالله خيراً .

الثاني : أن يظن بالله شراً

والأول له متعلقان :

1. متعلق بالنسـبة لما يفعله في هـذا الكـون ، فهـذا يجب عليك أن تحسن الظن بالله عز وجل فيما يفعله سـبحانه وتعـالى في هـذا الكـون ، وأن تعتقد أن ما فعله إنما هو لحكمة بالغة قد تصل العقـــول إليها وقد لا تصل وبهـــذا يتبين عظمة الله وحكمته في تقديره ، فلا يظن أن الله إذا فعل شـــيئاً في الكـــون فعله لإرادة ســـيئة ، حـــتى الحوادث والنكبات لم يحـدثها الله لإرادة السـوء المتعلق بفعله ، أما التعلق بغيره بأن يحدث ما يريد به أن يســوء هذا الغـير ، فهـذا واقع ، كما قـال تعـالى : ﴿ **قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سـوء أو أراد بكم رحمه** ﴾ [الأحزاب : 17] .
2. متعلق بالنسـبة لما يفعله بك ، فهـذا يجب أن تظن بالله أحسن الظن ، لكن بشرط أن يوجد لديك السـبب الـذي يـــــوجب الظن الحسن ، وهو أن تعبد الله على مقتضى شـريعته مع الإخلاص ، فـإذا فعلت ذلك ، فعليك أن تظن أن الله يقبل منك ولا تســـيء الظن بالله بـــأن تعتقد أنه لن يقبل منك ، وكــذلك إذا تــاب الإنســان من الــذنب ،

فيحسن الظن بالله أنه يقبل منه ، ولا يسيء الظن بالله بأن يعتقد أنه لا يقبل منه .
وأما إن كـــان الإنســـان مفرطـــاً في الواجبـــات فـــاعلاً للمحرمـــات ، وظن بالله ظنـــاً حســـناً ، فهـــذا هو ظن المتهاون المتهالك في الأماني الباطلة ، بل هو من ســـوء الظن بالله ، إذ إن حكمة الله تأبي مثل ذلك .
النوع الثـاني : وهو أن يظن بالله سـوءً ، مثل أن يظن في فعله ســـفها أو ظلمـــاً أو نحو ذلك ، فإنه من أعظم المحرمـات وأقبح الـذنوب ، كما ظن هـؤلاء المنـافقون وغيرهم ممن يظن بالله غير الحق .
قوله : ﴿ **يقولـــون هل لنا من الأمر من شـــيء** ﴾ . **مرادهم بذلك أمران** :
الأول : رفع اللوم عن أنفسهم .
الثاني : الاعتراض على القدر .
وقوله : ﴿ **لنا** ﴾ خبر مقدم .
وقوله : ﴿ **من شـيء** ﴾ : مبتـدأ مـؤخر مرفـوع بالضـمة المقـــدرة على آخـــره منع من ظهورها اشـــتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .
قوله : ﴿ **إن الأمر كله الله** ﴾ . أي : فـإذا كـان كـذلك ، فلا وجه لاحتجـاجكم على قضـاء الله وقـدره فالله – عز وجل يفعل ما يشاء من النصر والخذلان .
وقوله : ﴿ **إن الأمر** ﴾ واحد الأمـور لا واحد الأوامر ، أي : الشـــأن كل الشـــأن الـــذي يتعلق بأفعـــال الله وأفعـــال المخلوقين كله لله سبحانه ، فهو الذي يقـدر الـذل والعز والخير والشر ، لكن الشر في مفعولاته لا في فعله .
قوله : ﴿ **يخفـون في أنفسـهم ما لا يبـدون لك** ﴾ . أي : ما لا يظهـــرون لك ، فمن شـــأن المنـــافقين عـــدم الصراحة والصدق ، فيخفي في نفسه مـالا يبديه لغـيره ، لأنه يـري من جبنه وخوفه أنه لو أخـبر بـالحق لكـان فيه هلاكه ، فهو يخفي الكفر والفسوق والعصيان .
قوله : ﴿ **ما قتلنا ها هنا** ﴾ . أي : في أحد ، والمـــــراد بمن " **قتل** " : من استشـــهد من المســـلمين في أحد ، لأن عبد الله بن أبي رجع بنحو ثلث الجيش في غـــــزوة أحد ، وقال : إن محمداً يعصيني ويطيع الصـغار والشـبان .

قوله : ﴿ **قل لو كنتم في بيوتكم لـبرز الـذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم** ﴾ . هـذا رد **لقـولهم** : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا.

وهذا الاحتجـاج لا حقيقة له ، لأنه إذا كتب القتل على أحد ، لم ينفعه تحصنه في بيته ، بل لابد أن يخـرج إلى مكـان موته ، **والكتابة قسمان :**

1 . كتابة شـرعيه ، وهـذا لا يلـزم منها وقـوع المكتـوب ، مثل قوله تعالى : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمـنين كتابـاً موقوتـاً** ﴾ [النسـاء : 103] ، وقوله : ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ﴾ [البقرة : 183] .

2. كتابة كونية ، وهذه يلزم منها وقوع المكتوب كما في هـذه الآية ، ومثل قوله تعــالى : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبــور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ [الأنبياء : 105] وقوله ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورســــــــلي** ﴾ [المجادلة : 21] .

قوله : ﴿ **وليبتلي الله ما في صــــــــدوركم** ﴾ . أي : يختـبر ما في صـدوركم من الإيمـان بقضـاء الله وقـدره والإيمــان بحكمته . فيختــبر ما في قلب العبد بما يقــدره عليه من الأمــور المكروهة ، حــتى يتــبين من استســلم لقضاء الله وقدره وحكمته ممن لم يكن كذلك.

قوله : ﴿ **وليمحص ما في قلـــوبكم** ﴾ . أي إذا حصل الابتلاء فقوبل بالصـــبر ، صـــار في ذلك تمحيص لما في القلب ، أي : تطهـير له وإزالة لما يكـون قد علق به من بعض الأمور التي لا تنبغي .

وقد حصل الابتلاء والتمحيص في غـــزوة أحد بـــدليل أن الصحابة لما ندبهم الرسول ﷺ[4] [illegible] : ﴿ **أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** ﴾ [[illegible] : 172] [illegible] ﴾ ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سـوء واتبعـوا رضـوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ **[آل عمــــــــران : 174] .**

[illegible] : ﴿ **والله عليم بذات الصدور** ﴾ [illegible] : ﴿ **فإنها لا تعمي الأبصــار ولكن** [illegible] **القلـوب الـتي**

[4] البخاري كتاب المغازي باب الذي استجابوا لله والرسول. مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل طلحة والزبير وأما خروجهم إلى حمراء الأسد فأخرجه ابن كثير في تفسير 1/337 وصححه ابن حجر في الفتح 8/228.

في الصدور ﴿ [[illegible] : 146] [illegible]

وقوله : ﴿ الظانين بالله ظن السوء عليهم دائـرة السوء ﴾ الآية : [الفتح : 6] .

- [illegible] **بالله** [illegible] [[illegible] : 6] [illegible] [[illegible] : 154] . [illegible]

[illegible] [[illegible] : 11] [illegible] [[illegible] : 55] [illegible]

[illegible] [1] [illegible]

(1) الإمام أحمد في " المسند " (3/61).

[illegible]

[illegible] " [illegible] " . [illegible]

[illegible] " [illegible] " . [illegible]

[illegible]

[illegible] " [illegible] " . [illegible]

[illegible]] [illegible] : [12 .

[illegible]

[illegible] [27 : [illegible]] [illegible]

[illegible] * [illegible]] [illegible] : [39-38 [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] . [illegible]

[illegible] "[illegible]" [illegible] : [illegible] .

[illegible] .

[illegible] : [illegible] . [27 : [illegible]] [illegible] : [illegible]

[illegible] . "[illegible]" : [illegible] .

[illegible] . "[illegible]" : [illegible] .

[illegible] . "[illegible]" : [illegible] .

[illegible] . "[illegible]" : [illegible] .

[illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] "[illegible]" : [illegible] : [illegible] .

[illegible]

[illegible]

[illegible] [105 [illegible]] [illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible] : [illegible]
[illegible] [[illegible] : 180] [illegible]
[illegible] : [illegible] [[illegible] : 60] [illegible]
[illegible].

***

[illegible]

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible]

[illegible] :

[illegible]

[illegible] : (**[illegible]**) [illegible] (**[illegible]**) .

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible]

[illegible] .

[illegible] : [illegible]

[illegible] .

[illegible] .

[illegible] : [illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] : [illegible] .

[illegible] **[illegible]** : [illegible]

[illegible] **[illegible]** : [illegible] .

[illegible] .

[illegible] :

[illegible] : [illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] :

[illegible] : **[illegible]** [[illegible] : 62] [illegible] : **[illegible]** [[illegible] : 96] [illegible] : **[illegible]** [[illegible] : 17] [illegible] : **[illegible]** [[illegible] : 148] .

[illegible] .

[illegible] .

[illegible] : **[illegible]** [illegible] .

[illegible] : **[illegible]** [illegible] .

(1) تقدم (ص 625).

(2) البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب الاقتداء بسنن النبي

(1) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود ، وهو مشهور عند أهل العلم لكن فيه ضعف .

[illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible]

[illegible] [59 : [illegible]

[illegible]

[illegible] [70 : [illegible]] [illegible]

[illegible] [82 : [illegible]] [illegible]

[illegible] [112 : [illegible]] [illegible]

[illegible] [253 .

[illegible] [62 : [illegible]] [illegible]

[illegible] :

1. [illegible] .
2. [illegible] .

[illegible]

[illegible] :

1. [illegible] .
2. [illegible] [24 : [illegible]] [illegible] [32 : [illegible]] [illegible] .

[1] البخاري : كتاب الطب / باب ما يذكر في الطاعون ، ومسلم : كتاب السلام / باب الطاعون والطيرة .

[1] البخاري : كتاب التفسير / باب فأما من أعطي وأتقي ، ومسلم : كتاب القدر / باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه .

[1] مسلم : كتاب الإيمان /باب بيان الإيمان والإسلام .

[1] تقدم (ص 997) .

[1] مسلم : كتاب الجنة / باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة .

(1) مسلم : كتاب صلاة المسافرين / باب الدعاء في صلاة الليل .

[1] تقدم (ص 1002).

[1] الإمام أحمد في " المسند " (5/317)، والترمذي (2156).

[illegible]

[illegible] [23-22 : [illegible]] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (11-9 :[illegible]) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[1] مسلم : كتاب الذكر والدعاء / باب استحباب حمد الله بعد الأكل والشرب .

[2] الإمام أحمد في " المسند " (5/317).

[1] ابن وهب في القدر (26).

[2] الأمام أحمد في " المسند " (5/185) ، وأبو دواد / كتاب السنة / باب في القدر .

[1] البخاري : كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار ، ومسلم كتاب الإيمان / باب معرفة طريق الرؤية .

[2] الإمام أحمد في " المسند" (2/178)، وصححه أحمد شاكر (6668).

[1] البخاري : كتاب التفسير / باب تفسير سورة " لم يكن " ومسلم : كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل أبي .

[1] الإمام أحمد في المسند (1/26)، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي (3/295).

[2] البخاري : كتاب فضائل القرآن / باب جمع القرآن .

[3] البخاري : كتاب فضائل الصحابة / باب مناقب عمار وحذيفة .

[4] تقدم (ص 985).

(1) تقديم (ص 1006).

(2) البخاري : كتاب التوحيد / باب وكان عرشه على الماء .

(1) البخاري : كتاب الحيض / باب لا تقضي الحائض الصلاة ، ومسلم : كتاب الحيض / باب وجود قضاء الصوم على الحائض .

***

باب ما جاء في المصورين

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : رسول الله [1]

باب ما جاء في المصورين

ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي

(69)

ومن اظلم

ومن أظلم ممن منع مساجد الله [114] **ومن أظلم ممن افتري على الله كذباً** [21]

[34]

---

[1] البخاري : كتاب اللباس / باب نقض الصور ، ومسلم : كتاب اللباس والزينة / باب تحريم تصوير صور الحيوان .

(1) البخاري : كتاب اللباس / باب من كره القعود على الصور ، ومسلم : كتاب اللباس / باب تحريم تصوير صور الحيوان.

(2) جزء من الحديث السابق .

[1] تقدم (ص 1023)

[2] البخاري : كتاب اللباس / باب من صور صورة .. ، ومسلم : كتاب اللباس / باب تحريم تصوير صورة حيوان .

[3] البخاري : كتاب اللباس / باب ما وطىء من التصاوير ، ومسلم : كتاب اللباس / باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

[4] البخاري : كتاب العمرة / باب السفر قطعة من العذاب ، ومسلم : كتاب الإمارة /باب السفر قطعة من العذاب .

[5] البخاري : كتاب الجنائز / باب ما يكره من النياحة على الميت ، ومسلم : كتاب الجنائز / باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

قوله : " كل مصور في النار " . " **كل** " : من أعظم ألفاظ العموم ، وأصلها من الإكليل ، وهو ما يحيط بالشيء ، ومنه الكلالة في الميراث للحواشي التي تحيط بالإنسان .

(1) مسلم : كتاب اللباس / باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

[2] البخاري : كتاب المغازي / باب بعث على بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن ، ومسلم : كتاب الحج / باب بيان وجوه الإحرام .

[1] مسلم : كتاب الجنائز / باب الأمر بتسوية القبر .

[2] الإمام أحمد في المسند 2/305.

[3] تقدم تخريجه (424).

[1] البخاري : كتاب اللباس / باب من كره القعود علي الصور ، ومسلم : كتاب اللباس / باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

[illegible] : [illegible] . [illegible] : [illegible] . " [illegible] " : [illegible] . " [illegible] " : [illegible] . [illegible] : [illegible] . [illegible] : [illegible] . [illegible] .

[illegible] :

- [illegible] : [illegible] . [illegible] : " [illegible] .. " [illegible] .
- [illegible] : [illegible] : " [illegible] " . [illegible] .
- [illegible] : [illegible] : " [illegible] " . [illegible] . [illegible] : [illegible] . [illegible] : " [illegible] .. " [illegible] .
- [illegible] : [illegible] . [illegible] : " [illegible] " .
- [illegible] : [illegible] . [illegible] : " [illegible] " . [illegible] " [illegible] " [illegible] .
- [illegible] : [illegible] . [illegible] : " [illegible] " . [illegible] : [illegible] : " [illegible] " [illegible] . [illegible] : [illegible] . [illegible] : [illegible] .

***

الحلف : هو اليمين والقسم ، وهو تأكيد الشيء بـذكر معظم بصيغة مخصوصة بأحد حـروف القسم ، وهي : البـاء والـواو ، والتاء .

أن كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله ، وتعظيم الله تعــالى من تمام التوحيد .

---

[1] البخاري : كتاب الإيمان / باب الكفارة قبل الحنث وبعده ، ومسلم : كتاب الأيمان / باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير .

[2] ابن جرير (12503)

[1] البخاري : كتاب البيوع / باب يمحق الله الربا ، ومسلم : كتاب المساقاة / باب النهي عن الحلف في البيع.

[2] الإمام أحمد في " المسند " (2/235،243،413).

[3] الطبراني في " الكبير " (6111) ، و " الصغير " (821).

[4] البخاري : كتاب المحاربين / باب رجم الحبلي من الزنا إذا أحصنت .

[1] مسلم : كتاب الإيمان / باب تحريم الكبر .

[2] تقدم (ص 930)

[3] البخاري : كتاب الإيمان / باب قوله الله تعالى : أن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة .

[1] البخاري : كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل أصحاب النبي [illegible]

[2] تقديم تخريجه في الحديث قبله .

[3] البخاري : كتاب المناقب / باب صفة النبي .

[1] مسلم : كتاب الأفضية / باب خير الشهود .

[1] الإمام أحمد في " المسند " (1/18).

فيه مسائل :

[: 53] .

[: 7] .

[: 3] .

---

[1] البخاري : كتاب الشهادات / باب لا يشهد على جور ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة / باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم .

[1] البخاري : كتاب الحدود / باب كراهة الشفاعة في الحد ، ومسلم : كتاب الحدود / باب قطع السابق الشريف .

***

[1] مسلم : كتاب الإمارة / باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء .

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible] : [illegible] .

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible] : [illegible] [illegible] .

[illegible] : [illegible] : [illegible] .

[illegible] :

[illegible]

[illegible] .

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible] : [illegible] .

" **[illegible] . [illegible] .** "

- **[illegible]** : [illegible] .
- [illegible] : " **[illegible]** " . [illegible] .

[illegible] .

[illegible] : " [illegible] " . [illegible] " **[illegible]** " [illegible] .

[illegible] .

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible] : [illegible] .

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible] : [illegible] .

[illegible] : " [illegible] " . " **[illegible]** " : [illegible]

[illegible] : **[illegible]** [[illegible] : 9] . [illegible]

[illegible] **[illegible]** [[illegible] : 123] [illegible]

[illegible] .

" **[illegible]** " : [illegible] " **[illegible]** " [illegible] :

[illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible] : [illegible]

.

[illegible] : " **[illegible]** " . [illegible]

[illegible] : **[illegible]** [[illegible] : 161] [illegible]

[illegible] :

[illegible] .

(1) أبو داود : كتاب الجهاد / باب في دعاء المشركين .

(2) البخاري : كتاب المغازي / باب غزوة أوطاس .

(1) البخاري : كتاب الإيمان / باب أمور الإيمان ، ومسلم : كتاب الإيمان /باب بيان عدد شعب الإيمان .

[1] مسلم : كتاب الجهاد / باب تأمير الإمام الأمراء .

[1] البخاري : كتاب العتق / باب من ملك من العرب رقيقاً ، ومسلم : كتاب الجهاد / باب جواز الإغارة على الكفار .

[1] البخاري : كتاب الإيمان / باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، ومسلم : كتاب الإيمان / باب الأمر بقتال الناس يقولوا لا إله إلا الله .

وأما أن نقول : لا تنظر في القرآن والسنة لأنك لست أهلاً للاجتهاد ، فهذا غير صحيح ، **ثم إنه على قولنا** : إن باب الاجتهاد مفتوح ، لا يجوز أبداً أن تحتقر آراء العلماء السابقين ، أو أن تنزل من قدرهم ، لأن أولئك تعبوا واجتهدوا وليسوا بمعصومين ، فكونك تقدح فيهم أو تأخذ المسائل التي يلقونها على أنها نكت تعرضها أمام الناس لسخروا بهم ، فهذا أيضاً لا يجوز ، إذا كانت غيبة الإنسان العادى محرمة ، فكيف بغيبة أهل العلم الذين أفنوا أعمارهم في استخراج المسائل من أدلتها ، ثم يأتي في آخر الزمان من يقول : إن هؤلاء لا يعرفون ، وهؤلاء يفرضون المحال ويقولون : كذا وكذا ، مع أن أهل العلم فيما يفرضونه من المسائل النادرة قد لا

---

(2) البخاري : كتاب الاعتصام / باب أجر الحاكم إذا اجتهد ، ومسلم : كتاب الأقضية / باب بيان أجر اجتهد.

يقصدون الوقوع ، ولكن يقصدون تمرين الطالب على تطـبيق المسائل على قواعدهم وأصولها؟! .

[illegible] : [illegible]
[illegible] : [illegible] .

- [illegible] : [illegible]
[illegible].

***

***

باب ما جاء في الأقسام على الله

[illegible]

(1) البخاري : كتاب الصلح / باب الصح في الدية ، ومسلم : كتاب القسامة / باب إثبات القصاص في الأسنان.

(2) البخاري : كتاب الجهاد / باب قوله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾ ، ومسلم : كتاب الإمارة / باب ثبوت الجنة للشهيد .

(3) مسلم كتاب البر والصلة / باب فضل الضعفاء .

[4] مسلم : كتاب البر والصلة / باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله .

[1] يأتي (ص 1090).

[2] الإمام أحمد في " المسند " (5/2،4) ، وأبو داود : كتاب الزكاة / باب زكاة السائمة ، والنسائي : كتاب الزكاة /باب عقوبة مانع الزكاة ، والحاكم (1/555) وصححه على شرطهما ووافقة الذهبى .

[1] الإمام أحمد في " المسند " (2/323) ، وأبو داود : كتاب الأدب / باب في النهي عن البغي .

[1] أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (2/297، 355) والترمذي : كتاب الزهد / باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس (7/76) وقال : " حسن غريب " .

[2] البخاري : كتاب الرقاق / باب حفظ اللسان ، ومسلم : كتاب الزهد / باب التكلم بكلمة يهوي بها في النار ، ولفظه عند مسلم . " إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب .

[3] البخاري : كتاب الرقاق / باب حفظ اللسان .

[4] الإمام أحمد في " المسند " (5/231) ، والترمذي : كتاب الإيمان / باب ما جاء في حرمة الصلاة .

ولا سيما إذا كانت هذه الزلة ممن يقتدي به ، كما يحــدث من دعاة الضلال والعياذ بالله ، فإن عليه وزره ووزر من تبعه إلى يوم القيامة .

- [illegible]

[illegible] [[illegible] : 216] .

***

[1] أبو دواد : كتاب السنة / باب في الجهمية ، وابن خزيمة في " التوحيد " (147)، وابن أبي عاصم في " السنة " (575) وصححه العلامة ابن القيم في " تهذيب السنن " (7/96).

[1] تقديم (ص 935).

[2] تقدم تخريجه (ص 877).

***

(1) البخاري : كتاب الاستسقاء / باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء .

***

[1] تقدم تخريجه (ص)

[1] ابن كثير في " التفسير " (4/540).

[1] البخاري : كتاب التيمم ، ومسلم : كتاب الحيض / باب التيمم .

[1] تقدم تخريجه (ص 928).

[2] البخاري : كتاب المغازي / باب مرجع النبي

[2] تقدم تخرجه (ص924).

[4] الأمام أحمد في " المسند " (5/346) ، وأبو داود : كتاب الأدب / باب لا يقول المملوك ربي وربتي .

[1] الإمام أحمد في " المسند " (3/241) ، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (249،250) وقال ابن عبد الهادي في " الصارم المنكي " (ص 246) : " إسناده صحيح " .

وكذلك يقال في قوله : " **وابن سيدنا**" .

[illegible].

[illegible] : [illegible].

- **[illegible]** : [illegible] : " **[illegible]** " . [illegible].

***

الآية [الزمر : 67]

[104 :]

(1)

---

(1) البخاري : كتاب التوحيد / باب قوله تعالى : ﴿ لم خلقت بيدي ﴾ ، ومسلم : كتاب المنافقين / باب صفة القيامة .

(1) البخاري : كتاب الفرائض / باب القائف ، ومسلم : كتاب الرضاع / باب العمل بإلحاق القائف الولد .

(1) مسلم : كتاب القدر / باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء .

[2] البخاري : كتاب الصلاة / باب حك البزاق باليد في المسجد ، ومسلم : كتاب الزهد .

[1] مسلم : كتاب العلم / باب هلك المتنطعون .

[1] مسلم : كتاب صفات المنافقين / باب صفة القيامة .

[2] البخاري : كتاب التفسير / باب ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ .

[3] أخرجه الإمام أحمد ومسلم بمعناه .

[4] أبو دواد / كتاب السنة / باب في الجهمية ، والحاكم (1/35) وقال : " صحيح ، ولم يخرجاه " .

[5] البخاري : كتاب الحج / باب فضل مكة وبنياتها ، ومسلم : كتاب الحج / باب نقض الكعبة .

[1] مسلم : كتاب صفات المنافقين / باب صفة القيامة .

[1] مسلم : كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل .

[2] ابن جرير (24/25)

[3] ابن جرير الطبري في التفسير (5794) ، والبيهقي في " الأسماء والصفات " (510) ، وقال ابن حجر : " صححه ابن حبان وله شاهد عن مجاهد اخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح " ، الفتح (13/410)

[1] الدرامي في " الرد على الجهمية " (26) ، وفي النقض على المريسي " (ص 73، 90، 105) ، وابن خزيمة في " التوحيد (594) ، والطبراني " الكبير (8987) ، والبيهقي في " الأسماء " (ص 401) ، والخطيب في " الموضح " (2/47).

[2] الذهبى في " العلو " (ص 64) .

[3] يأتي تخريجه (ص 1131).

وبعض الأعلام عليه دخلاً   للمح ما قد كان عنه نقلاً

[1] الأمام أحمد في " المسند " (1/206) ، وأبو دواد : كتاب السنة / باب في الجهمية ، والترمذي : كتاب تفسير القرآن / سورة الحاقة ، وقال : " حسن غريب " ، وابن ماجة المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ، وابن أبي عاصم في " السنة " (577) ، وابن خزيمة في " التوحيد " (144) ، والحاكم (2/288) وصححه.

[1] تقدم (45).

[1] مسلم : كتاب المساجد /باب تحريم الكلام في الصلاة .

- **فيه مسائل :**

الأولى : تفسير قوله تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ . الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ ولم ينكروها ولم يتأولوها . الثالثة : أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ ، صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك . الرابعة : وقوع الضحك من الرسول ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم . الخامسة : التصريح بذكر اليدين ، وأن السماوات في اليد اليمني والأرضين في الأخري .
السادسة : التصريح بتسميتها الشمال . السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك . الثامنة : قوله : " كخردلة في كف أحدهم " . التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء . العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي . الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء . الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء . الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي . الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء . الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء . السادسة عشرة : أن الله فوق العرش . السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة . التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمس مئة سنة ، والله أعلم .

فيه مسائل :

- **الأولى** : تفسير قوله تعالى : ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾ . وقد تقدم من حديث ابن مسعود ، حيث أقر النبي ﷺ الحبر على أن الله يجعل السماوات على إصبع .. إلخ .
- **الثانية** : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها . كأنه يقول : إن اليهود خير من أولئك المحرفين لها ، لأنهم لم يكذبوها ولم يتأولوها . كأنه يقول : إن اليهود خير من أولئك المحرفين لها ، لأنهم لم يكذبوها ولم يتأولوها

، وجاء قوم من هذه الأمة ، فقالوا : ليس لله أصابع ، وإن المراد بها القدرة ، فكأنه يقول : اليهود خير منهم في هذا وأعرف بالله .

- **الثالثة** : أن الحبر لما ذكر للنبي صدقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك . ظاهر كلام المؤلف بقوله : " **ونزل القرآن** " أنه بعد كلام الحبر ، وليس كذلك ، لأنه في حديث ابن مسعود قال : ثم قرأ قوله : **وما قدروا الله حق قدره** ، وهذا يدل على أن الآية نزلت من قبل ، لكن مراد المؤلف أن القرآن قد نزل بتقرير ذلك .
- **الرابعة** : وقوع الضحك من الرسول لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم . ففيه دليل على جواز الضحك في تقرير الأشياء ، لأن الضحك يدل على الرضا وعدم الكراهة
- **الخامسة** : التصريح بذكر اليدين ، وأن السماوات في اليد اليمني والأرضين في الأخري . وقد ثبتت اليدان لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

وقوله : " **في الأخري** " لا يعني أنه ينفي ذكر الشمال لما ذكره في المسألة التالية ، وهي

- **السادسة** : التصريح بتسميتها الشمال . وقد سبق الكلام على ذلك .
- **السابعة** : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك . ووجه ذكرهم أنه إذا كان لهم تجبر وتكبر الآن ، فليقوموا بذلك .
- **الثامنة** : قوله : " **كخردلة في كف أحدهم** " . يعني بذلك قوله في الحديث : " **ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدهم** " ، هكذا قال المؤلف رحمه الله " **في كف أحدكم** " وقد ساق الأثر بقوله " **كخردلة في يد أحدكم** " ، وأنظر (ص 376) وكلامنا على الأثر هناك .
- **التاسعة** : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء . حيث ذكر أنها بالنسبة للكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس .
- **العاشرة** : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي . لأنه جعل الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض بالنسبة للعرش .
- **الحادية عشرة** : أن العرش غير الكرسي والماء . ولم أر من قال : إن العرش هو الماء ، لكن هناك من قال : إن العرش هو الكرسي ، لحديث : " **إن الله يضع كرسيه يوم القيامة** " [1]، وظنوا أن هذا الكرسي هو العرش .

وكذلك زعم بعض الناس أن الكرسي هو العلم ، فقالوا في قوله تعالى : **وسع كرسيه السماوات والأرض** ، أي : علمه .

والصواب : أن الكرسي موضع القدمين ، والعرش هو الذين استوي عليه الرحمن سبحانه ، والعلم صفة في العلم صفة في العالم يدرك بها المعلوم .

- **الثانية عشرة** : كم بين كل سماء إلى سماء . وهو خمسمائة عام .
- **الثالثة عشرة** : كم بين السماء والكرسي . وهو خمسمائة عام .

---

[1] الحاكم في " المستدرك " (2/396).

- **الرابعة عشرة** : كم بين الكرسي والماء . وهو خمسمائة عام .
- **الخامسة عشرة** : أن العرش فوق الماء . وهي ظاهرة .
- **السادسة عشرة** : أن الله فوق العرش . وهي ظاهرة .
- **السابعة عشرة** : كم بين السماء والأرض . وهو خمسمائة عام .
- **الثامنة عشرة :** كثف كل سماء خمسمائة سنة .
- **التاسعة عشرة :** أن البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة . وقد سبق الكلام على جميع هذه المسائل بأدلتها .

ويستفاد من أحاديث الباب :

1. **أن الله لا يخفي عليه شيء من أعمال بني آدم .**
2. **التحذير من مخالفة الله عز وجل .**

والله أعلم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلي الله وسلم على نبينا محمد ، وأسال الله أن يختم لنا ولكم بالتوحيد ، آمين .